الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة

كلية الأدب و اللغات
قسم اللغة العربية وأدابها

الرقم التسلسلي
الرقم التسلسلي

عنوان البحث

تأثير الهجرة الأندلسية في الشعر الشعبي الجزائري (العهد التركي نموذجا)

بحث مقدم لنيل شهادة الماستر في الأدب الشعبي الجزائري

من انجاز الطالبن
بلبشير حكيم.
بشيطي العياشي.

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
سالم بن لباد

السنة الدراسية: 2014 / 2015

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى أبي رحمه الله

وأمي الكريمة وإلى جميع أفراد عائلتي وجميع أصدقائي.

– بلبشير حكيم

{الإهداء}

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك و لا يطيب النهار إلا بطاعتك... و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك...و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك...و لا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

الله جل جلاله

إلا من بلغ الرسالة و أدى الأمانة...و نصح الأمة...إلى نبي الرحمة و نور العالمين...

محمد صلى الله عليه و سلم

إلى من قال فيهما الله تعالى« وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا»

إلى والدي العزيزين أطال الله في عمرهما

و أدامهما عونا و سندا في حياتنا

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس البريئة إلى رياحين حياتي « إخوتي »

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات إلى من سأفتقدهم و أتمنى أن يفتقدوني إلى من جعلهم الله أخوتي بالله ومن أحببتهم بالله « طلاب قسم اللغة و الأدب العربي »

- بشيطي العياشي

- **دوافع اختيار الموضوع:**

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج مسألة هامة حول التاريخ الثقافي والفكري في الجزائر خاصة خلال العهد العثماني، ومختلف التأثيرات التي تعرض لها في الفترات ما قب العهد العثماني وما بعده.

قد رأينا أن هذا الموضوع يستحق الدراسة باعتباره حلقة ضائعة لاستكمال النظرة الشاملة للفترة العثمانية في الجزائر.

كما تناولنا الموضوع بدراسة وضعية التعليم في الجئر قبل دخول العثمانيين ونوعية التعليم أثناء التواجد العثماني وما تعاقب عليها من ملوك.

وقد حصرنا بحثنا هذا في فترة الحكم العثماني بالجزائر ما بين 1518 إلى غاية 1830 م نظرا للأوضاع السائدة في تلك الفترة وظروف ظهور العثمانيين مع مطلع القرن 16، هذه الفترة التي اختلف فيها المؤرخين حول دخول الأتراك إلى الجزار، إلا أن عهد الأخوين خير الدين وعروج كان له دور فعال في انقاذ الجزائر من الاحتلال الاسباني، هذا الأمر جعل التحالف بين الطرفين باسم الجهاد أساسا وانتشار الطرق الصوفية التي فرضت نفسها على الساحة السياسية، دون أن ننسى تطور الزاوية حيث أصبحت قوة فكرية ومالية وعسكرية.

- **الإشكالية:**

بالإضافة إلى ما سردناه عن الحياة الفكرية في الجزائر بدخول العثمانيين فان البحث في الحياة الفكرية والأدبية في الجزائر، يعتبر فخرا لما تركه لنا أجدادنا من تراث أدبي عريق، والذي

شكر وتقدير

شكري وتقديري لأستاذ الفاضل سالم لباد المشرف على هذا الموضوع، والذي كان عونا لنا وخصنا بعدة جلسات وصبر معنا ولم يبخل علينا بنصائحه المفيدة وتوجهاته الكثيرة فلا نملك إلا أن نعترف له بالجميل.

مقدمة

من الأجدر بنا أن لا نتركه حبيس أدراج التهميش والنسيان، فدائما مقابل المعاصرة هناك أصالة كما أن الجزائر عانت من ويلات الاستعمار عبر التاريخ والسياسة الثقافية الممارسة من طرف الاستعمار والتي حاولت تغيير ثقافة الشعب والتأثير فيها و إبقائه يعيش التبعية المباشرة ويمكن إجمال مختلف التساؤلات على النحو التالي:

أولا –ما هي التحولات التي طرأت على المجتمع الجزائري أثناء دخول العثمانيين؟

ثانيا–هل أن حكم العثمانيين للجزائر لمدة ثلاثة قرو له علاقة بالعامل الديني والخطر الخارجي جعل الجزائريين يتقبلون ذلك؟ أو أن قضية علاقة الحكام والمصالح المتبادلة بينهم تفسر لنا هذه العلاقة؟

ثالثا–هل شكلت فئة رحال الادين أو العلماء قوة مضادة للحكم العثماني بالجزائر وما موقفها؟

رابعا–كيف كانت أوضاع التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ونشر المعرفة داخل هذا المجتمع؟

- **<u>الصعوبات التي اعترضت مراحل البحث:</u>**

إن لكل دراسة تاريخ أكاديمية واجهت مجموعة من العراقيل والصعوبات دائما نجدها متصلة بالمادة الأولى الضرورية لإنجاز أي بحث علمي جامعي، هي الأرشيفات و المصادر والبرامج المتعلقة بموضوع هذه الدراسة، وهذا لعدم توفر وثائق رسمية وحتي المصادر حول هذه الفترة، نجدها ركزت على مواضيع أخرى مثل العسكرية والسياسية والعلاقة بين الحكام إلا أنه ورغم المشكل العويص اذي واجهنا حاولنا جمع أكبر قدر ممكن من معلومات حول هذا الموضوع من

خلال المصادر التاريخية والمراجع التي ساهمت في توضيح الرؤية حول الحياة الفكرية والأدبية في الجزائر خلال هذه الفترة.

- **عرض لأهم المصادر ومراجع البحث:**

لقد اعتمدنا في انجاز بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة تختلف أهمتها حسب معالجتها للموضوع ونقتصر على ذكر أهمها:

خاصة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، والوضع الثقافي السائد في تلك الفترة حيث اعتمدنا:

1-كتاب تاريخ الجزائر: صالح فركوس والذي يعطينا دراسة إحصائية للجزائر في ظل الحكم العثماني (1518-1830) وموقفه من الشعب الجزائري ومختلف المؤسسات الدينية كالمساجد والأوقاف والزوايا.

2-تاريخ الأدب العربي: شوقي ضيف في فصله ع الجزائر وهو عبارة عن كتاب تناول تاريخ الجزائر منذ القديم أيام الفنيقيين والرومان والوندال والترك إلى غاية العهد الاحتلال الفرنسي وهو يحمل فلسفة الاستيطان في الجزائر وكانت نصوصه حول الجزائر تبين مدى معرفته الشاملة بالشأن الجزائري واطلاعه عليه وهذا الكتاب قد أفادنا كثيرا في فهم سياسة الاستعمار في الجزائر.

3-تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، وقد اعتمدنا عليه كثيرا لأنه يعطي الجزء الكبير من البحث واهتم بالجانب التعليمي خاصة عندما تطرق إلى المدارس وخاصة مختلف المراحل من التعليم، كما اعتمد على مراجع أخرى قد أفادتا مثل كتاب نشأة

المرابطيين والطرق الصوفية وأثارها في الجزائر خلال العهد العثماني وأيضا عمورة عمار في كتاب تاريخ الجزائر...

- **خطة البحث:**

نظرا لطبيعة الموضوع السياسي والاجتماعي والثقافي...من أجل أن نتناوله بطريقة مركزة، فقد قمنا بتقسيمه إلى: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، أما المقدمة فهي عبارة عن نبذة أو تعريف بالموضوع كذلك إشكالية والمنهاج التي استعملناها وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها وعرض شامل لفصوله.

وقد تناولنا بالدراسة في المداخل الحياة الأدبية والفكرية خلال جميع مراحل الحكم العثماني، بدءا بحكم البيلربايات إلى غاية عصر الدايات، خاصة التعليم وتطرقنا إلى مختلف المؤسسات الثقافية وأدوارها مثل المساجد والتي تنوعت حسب وظيفتها أو غايتها، حيث هدت الكتاتيب القرآنية ودورها في نشر المعرفة وتأثير المدارس المجاورة مثل الزيتونة وكذا الأزهر، ثم عالجنا الطرق الصوفية ودور الزوايا في الحفاظ على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية.

أما المبحث الثاني فد تناولنا تأثير الحكم العثماني وعلاقتهم برجال الدين والعلم في الجزار بالإضافة إلى الحياة الفكرية في أواخر الحكم العثماني، ورفض الشعب الجزائري للاستعمار. أما في الفصل الأول، فقد تطرقنا إلى بدايات الاهتمام بالعر الشعبي الجزائري أين خصصنا دراسة لهذا الشعر، فبدأنا بتعريف الشعر الشعبي والاهتمام به، ثم عرجنا إلى مراحل البحث في ماهية الشعر الشعبي وإشكالية هذا المصطلح والوقوف عند أنواع الشعر الشعبي في الجزائر كما كان لنا الحديث

عن أهم أعلام الشعر الشعبي الجزائري الأوائل التي عاشت الحكم العثماني كما حاولنا تسليط الضوء علي أهم النماذج من إنتاجهم الأدبي.

أما في الفصل الثاني، فقد تناولنا ماهية الشعر الشعبي وإشكالية هذا المصطلح والوقوف عند أنواع الشعر الشعبي في الجزائر وإبراز أهم خصائصه الفنية ومميزاته الأدبية وذلك من خلال الوزن والقافية والصورة الشعرية واللغة والعبارة.

أما في الفصل الثالث: فقد كان عبارة عن وقفة فنية عند أهم التحولات في القصيدة الشعبية في الجزائر، بعد الهجرة الأندلسية وهذا بإبراز الشكل والموضوع وحاولنا فيه تعريف الشكل وكذا الموضوع وتأثيرهما في تحولات القصيدة العبية، والمواقف المختلفة من شكل هذه القصيدة. وقد ختمنا هذا الموضوع بتدوين بعض النتائج التي فرضت نفسها من خلال هذا البحث والتي نبينها ببعض القصائد التي تتصل وثيقا بالموضوع.

- **صعوبات البحث:**

إن أهم الصعوبات التي تعترض الدارسين والباحثين هو نقص المادة العلمية التي تخص الموضوع وهو نفس المشكل الذي وجهناه، اذ أننا وجدنا صعوبة في إيجاد المصادر والمراجع الكافية والتي تتحدث عن القصائد الشعرية الشعبية في الجزائر، حيث أن معظم البحوث وتلك الدراسات الأكاديمية اهتمت بدراسة التعليم في الجزائر في العهد العثماني أو بعد ذلك في مرحلة الاحتلال وأغلب الكتابات التاريخية التي اهتمت بالحياة الثقافية في الجزائر وأوضاع التعليم لم تتناول بالذكر للشعر الشعبي إلا الشيء القليل ولا يتعدى مجرد ذكر لهذا الشعر باعتباره يعتبر من مراحل التعليم الأدبي، وكذلك المادة الأولى الضرورية ألا وهي الأرشيفات والمتعلقة بهذه الدراسة،

لعدم توفر وثائق رسمية حول هذه الفترة والتي ركزت خاصة على الجانب السياسي والعسكري كما واجهتنا عراقيل أخرى تتمثل في الوقت المحدد لإكمال المذكرة والإضرابات المذكورة في الجامعة بالإضافة إلى العمل اليومي، إلا أننا حاولنا جمع اكبر قدر ممكن من هذه المعلومات حول الشعر الشعبي في الجزائر من خلال المصادر التاريخية و المراجع في توضيح الرؤية.

في الأخير نشكر كل الأساتذة الذين درسنا عندهم في السنة الأولى إلى غاية وصولنا سنة ثانية ماستر، كما لا ننسى أن نشكر جميع من قدم لنا يد المساعدة في انجاز هذا البحث سواء من قريب أو من بعيد.

المدخل

الحياة الفكرية والأدبية في الجزائر

1. فترة العهد التركي
2. فترة نهاية العهد التركي
3. فترة ما بعد العهد التركي وبداية الاحتلال

لقد كانت الثقافة المغاربية محصورة على الشريعة، لأن الاهتمام كان متعلقا بأمور الشريعة والدين لكونها قاعدة التكوين في مختلف المؤسسات التعليمية، ولكون التوجيه التعليمي للزوايا في ذلك الوقت كفران ديني أكثر منه أدبي[1].

فانصب اهتمام العلماء علي الفقه والتفسير والحديث[2]، وكانت الثقافة دينية أكثر منها أدبية وهي الميزة التي صبغت الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، الذي تميز كذلك بتقلص الحياة العلمية وعدم اهتمام العلماء بذلك، وهو الأمر الذي أدي إلى هجرة الراغبين في العلم إلى المشرق منهم من عاد ومنهم من لم يعد، كما انتشرت البدع وحلقات الذكر والأوراد وتعددت الطرق الصوفية[3].

لقد سيطر على الحياة الثقافية، التصوف والشرح على أعمال المتقدمين فابتعد بدلك هذا التصوف عن مفهومه الذي يعني الصلاح، وقد شاع حتي بين الفقهاء والولاة أنفسهم فتحولت الزوايا من مركزها الثقافي إلى الخرافة والانزواء، حتي كادت الحياة الثقافية تخلو من الإبداع وكذا والأصالة وسارت في مجاري التقليد والإتباع حيث لم يكن يعني العلم عندهم اكتساب المعارف الجديدة، بقدر ما كان يعني التمكن إلى أقصي حد من اكتساب ما خلفه السلف، فاعتمدوا على ما يسمى التقليد والحفظ من سبقهم[4].

وهذا دليل على الجمود والركود والخمول والاعتماد على النقل والتقليد الذي كاد أنّ يكون أعمى، وقد نتج هذا ضعف التعليم بكامل الجزائر وانتشار التصوف حيث كان برز ما يسمى في تصورات المتصوفة "التوكل على الله" الذي أدي إلى الخمول والركون إلى القدرية هذا ما أدى حتما إلى انحطاط العلوم فاقتصر على شرح الحواشي ووضع التقارير على المتون التعليمية، أما العلوم

---

[1]-فركوس صالح، "البادي محمد الكبير ودورة في بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب" الثقافة، عدد 71، 1982، ص. 56.

[2]- المرجع نفسه، ص. 18.

[3]- أبو القاسم سعد الله، "أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر" ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، ص. 178.

[4]- المرجع نفسه، ج3، ص. 186.

المساعدة كالنحو واللغة لا يتعلم منها إلا القدر الضروري لفهم القرآن والعروض من أجل المنظومات الشعرية والصوفية، والبلاغة والمنطق للخطب والمواعظ وتحديد أوقات الصلاة[1].

وفي هذا الصدد يقول "د شو" (Dr Show) "أن الحياة الفكرية مازالت كما كانت منذ وقت طويلا في حالة متدهورة، فالفلسفة والرياضيات والطبيعيات والعلوم الطبيعية التي اشتهر بها العرب قديما أصيحت الأن من العلوم التي لا يعرف عنها أي شيء[2]" أما "شالر" فيقول:" أن العلوم غير موجودة وإن وجدت فهي ضئيلة فعلم الطب لا يوجد من يمارسه باستثناء المشعوذين وكتاب الحرز[3]".

لكن لا يمكن أن ننكر أن هناك محاولات البعض في تكوين فكرة عن العناصر الكيماوية لصنع البارود وكيفية تأثيرها، إضافة إلى تفسير الحوادث الطبيعية تفسيرا علميا، لكن دون إبعادها عن الخرفات.

وقد تجلى هذا الركود الثقافي في قول أبو راس الناصري: " إذ في زمن عطلت فيه مشاهير العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره، ومواسمه وعفت أطلاله ومعالمه لا سيما فن التاريخ والأدب، وأخبار الأوائل والنسب قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان واستوطن فحولها زوايا الجمول[4]...

كما جاء في بعض القصائد الشعرية نقدا لاذعا للانحطاط الثقافي والفكري لدي العلماء ونذكر ما اورده "الورثيلاني" في رحلته:

---

[1]- المرجع السابق، ص. 187.

[2] -Dr Shaw, voyage dans la régence d'Algérie, trad. de la lange par j.mac, Carthy 2eme Ed Bouslama, Tunis 1980, p.84, 85.

[3]- شالر وليام، "مذكرات قنصل أمريكا 1986-1824"، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي، ش و ن ت، الجزائر، 1982، ص. 81.

[4]- الناصري أبو راس، " عجائب السفار ولطائف الأخبار" مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1632، ص. 2-3.

واود لو كانت مجلس بينهم بضحين في سبيل الهداية في رحلته

وشحا الحشا ان لم نجد من عالم يهدي الوري بها متعلما[1]

ويرجع "شو" (Shaw): هذا الجمود الفكري إلى النظام الاستبدادي والفوضى السياسية خاصة الانقلابات وثورات وهذا حسب رأيه مناف لانتشار العلوم والثقافة التي تتطلب الاستقرار في الجانب السياسي[2].

إضافة إلى أن العثمانيين كان تركيزهم على التجارة وجمع المال وليس على العلوم، فبعد استقرارهم بالبلاد عملوا على تعزيز الجيش لصد العدو والاعتراف بسلطتهم من خلال خطب الجمعة التي تقرأ باسم السلطان ودفع الضرائب للسلطة المركزية[3].

لذا ركزوا اهتمامهم على القرصنة والإتاوات التي أخذت الجانب الأوفر من العناية لما تدره من فوائد مادية.

كما أن بعضهم كان يتعدى على الأوقاف المخصصة للتعليم حيث يقول "الورثلاني": في هذا الصدد "فأصبحوا يأكلون منها وينتفعون بها كالأملاك الحقيقية وهي ليست لهم..... ولكنهم تمردوا وطعنوا وجعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وهذا بسبب اندراس العلم وأهله[4]... كل هذا لا ينطبق على كل الحكام، حيث تميز بعضهم بسياسة محكمة وعادلة واحترام الثقافة. إلا أن نوعية الحكم المتواجهة إلى الجهاد البحري تركت الأمور الثقافية لمبادرات الفردية، الشيء الذي ساعد

---

[1]– الورثلاني الحسن، "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، تحقيق محمد بن أبي شنب، فونتانا الجزائر 1973، ص. 72.

[2]–Dr Shaw, voyage dans la régence d'Algérie, trad. de la lange par j.mac, Carthy 2eme Ed Bouslama, Tunis 1980, p.84, 85.

[3]– والقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، 188.

[4]– الورثلاني الحسن، المرجع السابق، ص. 92.

على انتشار الخرفات والجهل التي أشاعها المرابطون بين الناس، خاصة في أوساط البدو الذين أقبلوا على تصديق ما جاءوا به، فأدى هذا إلى الانحطاط الفكري[1].

من جهة أخرى يجب أن نتسألاذ ما كانت أوضاع الدولة العثمانية في عقر دارها أحسن؟ فالجواب على هذا السؤال يكون بلا لأنها حتي في عقر دارها لم تكن لها سياسة تعليمية واضحة وبهذا "ففاقد الشيء لا يعطيه" والناس على دين ملوكهم.

لهذا لا يجب تحميل العثمانيون مسؤولية ظهور التصرف ولا تدهور الجانب الفكري والثقافي ولم يشكلوا في نفس الوقت عائقا في وجه استمرار الحياة الثقافية، بل كان هناك بعض الحكام يحترمون العلماء ويوقفون الأوقاف لصالح العلم ومؤسساته، فالعلوم الابتدائية من حفظ القرآن والكتاب ومبادئ الحساب كانت تدرس في نحو ثلاثة ألاف كتاب[2].

وبرغم الانحطاط الذي شاهدته الجزائر، فلم يمنع ذلك ظهور وبروز علماء ذلك العصر، وإن كان عددهم يعد على الأصابع اليد، ذلك لم يمنع بروز علماء في الدين استطاعوا أن يحتلوا مكانة مرموقة بين مشاهير الإسلام وحققوا بنشاطهم الفكري والعلمي ما يظل عبر التاريخ آية بينية على عملهم الدائب، منهم أبوراس الناصري الذي ناظر علماء المشرق والمغرب، الذين قد اعترفوا له ببراعته وأجازوه ولقبوه "بشيخ الإسلام[3]".

كما أنهم تناظروا مع علماء الوهابية وانتقدوهم، حيث قال:" لقيت علماء ثم تناظرنا..." فعلمت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع[4].

ونجد أيضا من علماء الجزائر من أجاز حتي الحكام "كعيسى الثعالبي" ومن له دراسة أمور خارج إقليمية مثل "ابن سحنون" الذي اهتم بأحداث عصره، وسجل في كتاب " الثغر الجماني"

---

[1]- الفيلالي محمد الطاهر، "نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني"، دار الفن القرافيكي، ط1، الجزائر 1976، ص. 29.

[2]- المجني أحمد توفيق، "محمد باشا داي الجزائر (1766- 1791)، م و ك، الجزائر، 1986، ص. 26.

[3]- الصديق محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، مؤسسة موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2000، ص. 13-14.

[4]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، ج1، ص. 91.

أخبار الثورة الفرنسية، إضافة إلى بعض العلماء من هاجروا إلى أقطار أخرى مثل:" عبد القادر بن محمد الراشدي" الذي تولى قضاء مراكش[1].

كما نجد أيضا طلبة الأزهر الذين نالوا شهرة علمية بعد تخرجهم مثل:" أبو العباس المغربي" وقد قام بتدريس في المغرب[2].

كما نجد العديد منهم من تولى المناصب بالأزهر والقاهرة، كالتدريس وحتي الإفتاء ومنهم من تولى القضاء، وبرعوا في العلوم المنقولة والمعقولة، والملاحظ أن بعض العلماء تطلعوا إلى الأفضل من خلال اللقاءات والمناقشات التي يجرونها مع مختلف علماء البلدان العربية[3]. وتجدر الإشارة أن الجزائر اشتهرت بعدة حواضر ثقافية كانت مركز إشعاع ديني وثقافي، مثل مدينة قسنطينة وكذا مستغانم فقد عرفت هذه الأخيرة إشعاعا ثقافيا خاصة مقرا للبايلكفي عهد الباي "بوشلاغم" بعد سقوط وهران عام 1732م، وقد برز فيها عدد هام من رجال القضاء والفقهاء مثل "محمد بن حواء الأديب[4]".

في حين أن مدينة الجزائر كانت مقصد للكثير من الطلبة سواء من داخل أو خارج الجزائر، فحسب الدكتور " سعد الله"، "فان دروسها كانت تفوق أحيانا مساجد المشرق" ورغم أنها تفتقر لمعهد رئيسي يضاهي القراوين والأزهر والزيتونة، التي كان تأثيرها واضحا على حواضر من الجزائر، كما استفادت الجزائر خاصة منطقة الغرب من تراث وثقافة المهاجرين الأندلسيين[5].

ورغم ما قيل عن العهد العثماني في مجال الثقافي، إلا أن حركة التأليف كانت نشيطة، بحيث لا نكاد نجد عالما إلا وله تأليف كثيرة وفي شتى العلوم، ومن أشهرهم في هذه الفترة نجد

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص. 194-201.

[2]- الجبرتي عبد الرحمان، عجائب الأثار في الترجمة والأخبار، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1997، ج2، ص. 44.

[3]- عبد الرحمان عبد الرحيم، " دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث" المجلة التاريخية المغربية عدد 10-11، 1978، ص. 64-65.

[4]- الحفناوي أبو القاسم، "تعريف الخلف برجال السلف"، ط2، مؤسسة الرسالة، تونس ج2، 1982، 1، ص. 192.

[5]- أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي" 1500- 1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1998، ص. 273.

مثلا " الناصري" و "أحمد البوني" صاحب الكتاب "السعي المحمود" و " ابن حماد وش[1]". الذي تعد رحلته " لسان المقال" من أهم المخطوطات لأحوال القرن 18م بالجزائر، حيث اعتمد في مصادره على التجربة الشخصية والنقل من الوثائق أو المشافهة[2].

كما أن اهتمام العلماء بالتاريخ كان لاستخلاص الدروس والعبر مما سبق، فنجد من قام بتأريخ للجزائر وغيرها من الدول الأخرى، كالمغرب الأقصى ومنهم من اهتم بنسب القبائل والتعريف بأحوالها وملوكها، ومن هنا انبثق نوع من الكتب تسمى "التراجم" التي تعني سير الأولياء التي تندرج ضمن الصوفية وكذا "الأنساب" تعني بالعائلات والأشخاص ذوي النسب الشريف[3].

والملاحظ أيضا أن حواضر الجزائر لم تعرف ازدهار علوم الدين واللغة فقط، بل هناك مواد أخرى كانت تدرس كالشعر الفصيح وكذلك الملحون الذي برز من خلال حلقات المداحين التي انتشرت كظاهرة ثقافية ويكفي أن نذكر أن طريق "قدوسي المداح" الموجود في مستغانم ترجع تسميته إلى تجمع المداحين حول مياه الوادي لإسماع الناس الشعر[4].

كما أن التعليم لم يقتصر على الحواضر الكبرى فقط، بل حتي سكان الأرياف اهتموا بالتعليم خاصة بعد هجرة بعض العلماء إلى داخل البلاد وتأسيسهم للزوايا، حتي اصبحت هذه الزوايا مثل المدن " كعين ماضي وطولقة[5]".

وكخلاصة القول فالحياة الفكرية والأدبية في الجزائر عرفت تطورا ملحوظا، خاصة التعليم المنتشر في كامل أنحاء البلاد، لكنه بقي تقليديا وغلب عليه التصوف الذي راج خاصة في العهد التركي والذي كان يغلب عليه الروح والعقل والبحث في أمور العبادة وكانت محصورة على الشريعة

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي" 1500– 1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1998، ص. 294.

[2]– أبو القاسم سعد الله، "أشعار ومقامات ابن حمادوش الجزائري" الثقافة، العدد 49، 1988، ص. 250.

[3]– ابن سحنون أحمد علي الراشدي، " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" ت ح و ت، المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1979، ص. 436– 437.

[4]– سعيدوني، "دراسات وأبحاث في التاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة" م و ك، الجزائر، ص. 250.

[5]– BODIN, * Tradition indigéne sur Moustaganem et Tadjedit* Ïn B S G A O, 1925, P.65.

لأن الاهتمام كان متعلقا بأمور الدين لكونها قاعدة التكوين في مختلف المؤسسات التعليم ولكون التوجيه التعليمي للزوايا كان ديني أكثر من أدبي، فانصب اهتمام العلماء على الفقه وكذا التفسير والحديث، لهذا كانت الحياة الثقافية دينية في الجزائر وهي ميزة صبغت عليها وكانت كذلك تتميز بتقلص الحياة العلمية وعدم الاهتمام بالأدباء والشعراء، الأمر الذي أدى إلى هجرة الراغبين في العلم إلى المشرق، فمنهم من عاد ومنهم من بقي هناك يشتغل، كما عرفت الجزائر انتشار البدع وحلقات الذكر والأوراد وتعدد الطرق الصوفية.

1-فترة العهد التركي:

يذكر المؤرخون أن العثمانيين أو كما يسمون "آل عثمان" هم سلالة الأتراك العثمانيين ويرجعون بنسبهم إلى الأمير التركي "عثمان بن أرطغرل" وهو زعيم الترك في المكان الذي يسمي واد قرصوا في بلاد الأناضول.

وقد أشار "المجي" (خلاصة الأثار) إلى نسب العثمانيين الأتراك في معرض ترجمة للسلطان إبراهيم بقوله أن أصل بيتهم من التركمان الرحالة، الذي ينتمي نسبهم إلى "يافث بن نوح" وهو الجد السادس والأربعون للسلطان إبراهيم، ولما كانت أسمائهم أعجمية أضربت عن ذكرها لطولها وربما واحدة يقع فيها التحريف إن لم يضبط شيء منها، لكنها مذكورة في التواريخ التركية.

وإذاأردنا التحدث عن دخول العثمانيين إلى الجزائر فقد نجد عدة آراء تتفق حول طريقة واحدة وهي عدم اللجوء إلى القوة والعنف بل كان حلولهم بالجزائر سلميا باعتبار أن الدولة العثمانية كانت حاملة للواء الإسلام والدفاع عن المسلمين[1].

- ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية:

بعد صد الحملة الاسبانية الثانية التي استهدفت احتلال مدينة الجزائر عام 1518م استطاع خير الدين إقناع أغلب الجزائريين بأهمية انضمام بلادهم إلى السلطة العثمانية، وقد كان يهدف من وراء ذلك إلى تدعيم قوته العسكرية وخاصة بعد استشهاد أخيه عروج أثناء الدفاع عن تلمسان وإكساب حكمه للجزائر الصفة الشرعية حين كان ممثلا للسلطان بها ومواجهة المتآمرين عليه

[1]- باشا عمر، "تاريخ الادب العربي، العصر العثماني"، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 1989، ص. 11-12.

الحفصين وكذلك التصدي للأمراء الزيانيين المحرضين من الأسبان، مع إحساس الجزائريين باستمرار الخطر الاسباني وعجز الحكام المحليين عن دفعه، كما أن التشابه العقائدي بينهم وبين العثمانيين ألا وهو "الدين الإسلامي"، كان للدين الإسلامي أكبر الأثر في تقبل الجزائريين لفكرة الانضمام إلى الدولة العثمانية التي واقفت على ذلك وكان لهم ما أرادوا رسميا عام 1518م.

- مراحل الحكم العثماني في الجزائر:

دام الحكم التركي بالجزائر أكثر من ثلاثة 1830-1518 ويمكن تقسيمه حسب المراحل التي مر بها إلى:

أ- البيلربايات1518- 1588:

بدأت هذه الفترة منذ أن أسند السلطان سليم الأول إلى خير الدين أمر حكم الجزائر رسميا عام 1518م، مانحا إياه لقب بيلرباي، أي (أمير الأمراء) وأهم ما ميز مرحلة البيلربايات في الجزائر هي مواصلة الجهاد ضد العدو الاسباني ونجاح الجيش الجزائري عام 1530م في إخراج الإسبان من حصن البينيون الذي بنوه في المكان المعروف اليوم باسم برج الفنار، كذلك صد الحملة الإسبانية الثالثة على مدينة الجزائر عام 1541م، بقيادة الإمبراطور "شارل لكمان " وتحرير "بجاية" نهائيا في عهد البيلرباي "صالح ريس" في عام 1555م، بالإضافة إلى إنهاء الوجود الإسباني في تونس في عهد البيلرباي عام 1574م[1].

ب- عصر الباشاوات: 1588- 1659:

بعد أن لمست الدولة العثمانية ضعف الارتباط بينها وبين ولاتها على الجزائر في أواخر عهد البيلربايات، عمدت إلى إجراء تعديلات إدارية فيما يتعلق بنظام الولايات على الجزائر بحيث حددت مدتها بثلاثة أعوام، واستبدلت لقب البيلرباي بلقب الباشا وكان "دالي أحمد" أول من حمل لقب باشا في ولاية الجزائر، ونظرا لقصر المدة التي كان يقضيها الباشا في ولايته والتي لا تزيد عن ثلاثة سنوات، انصرف باشا إلى الاهتمام بمصالح الشخصية، وجمع الأموال دون أن يعبأ بمشاكل

[1]- صالح فركوس، "تاريخ الجزائر"، دار العلوم للنشر والتوزيع، ر د م ك، ص. 106.

الشعب وأحواله وهذا ما يجعل الشعب الجزائري يؤيد ويناصر الطبقة العسكرية الانكشارية أثناء صراعها على السلطة مع الباشاوات، أما أهم الأحداث التي ميزت هذه المرحلة فكانت:

تعرض الجزائر لحملة اسبانية رابعة على عهد الباشا سليمان 1601م، بالإضافة إلى اشتداد التنافس بين فرنسا وبريطانيا وهولندا من أجل الحصول على امتيازات حول استثمار المرجان عبر السواحل الجزائرية وسعي فرنسا وبريطانيا وهولندا للحصول على حق إقامة القواعد العسكرية لحماية سفنهم التجارية في الجزائر[1].

ج- عصرالأغوات: 1659- 1671:

تمثل هذه الفترة القصيرة غياب السيادة العثمانية الفعلية، بحيث أصبح الديوان الذي يتألف من كبار ضباط الانكشارية هو الذي يقوم بانتخاب "الأغا" المنتدب للحكم، بعدما كان الحاكم سابقا يعين من السلطان العثماني خلال مرحلتي البيلرباياتوالباشاوات وأبرز ما نتج وانجز عن هذا الأسلوب الجديد في نظام الولاية هو تنافس الضباط فيما بينهم للوصول إلى الحكم بقيام تكتلات عسكرية داخل الفرق الانكشارية، عادت على البلاد بفقدان الأمن وضعف الهيبة خاصة العسكرية للجزائر أمام الأعداء مع تأييد السلطان العثماني والشعب الجزائري قادة القوى البحرية الرياس أثناء صراعهم مع الأغوات قادة القوى البرية الانكشارية واستياء السلطان من قطع الأغوات لكل صلة بالأستانة حيث تذمر الشعب الجزائري من تفشي الفساد والفوضى إبان حكم الأغوات[2].

د- عصر الدايات 1671- 1830:

يمثل هذا العصر عودة النفوذ والسلطة إلى رجال البحرية الرياس وكان الداي ينتخب من بين أعضاء الديوان لمدى الحياة، وبعدها تؤخذ موافقة السلطان على تسمية دايات وبينما التزم الدايات في بداية الأمر بتعميق الارتباط مع الدواة العثمانية، فإن المتأخرين منهم قد تخلو عن هذه السياسة ولم فإن التأخرين منهم قد تخلوا عن هذه السياسة ولم يبق للسلطان غير السيادة الاسمية، وأصبح "الداي يعلن الحرب ويتولى عقد الاتفاقيات الدولية ويستقبل البعثات الدبلوماسية، مع أن هذا الوضع لا يعني انقطاع كل تعاون أو تعاون أو تعاطف بين الجزائر والدولة العثمانية، ففي حالة

[1]- صالح فركوس، المرجع السابق، ص. 117-118.

[2]- المرجع نفسه، ص. 126-127.

مثلا الحرب كانت الجيوش الجزائرية مع الجيوش العثمانية في عملياتها الحربية، وقد اتضح ذلك من خلال اشتراك الأسطول الجزائري مع الأسطول العثماني في موقعه نافرين 1827م[1].

وكانت الجزائر في تلك تعيش ظروف صعبة في بداية القرن السادس عشر بتفاقم الخطر الاسباني والايطالي واحتلالهم للموانئ الجزائرية وفرض الجزية على سكان المدن الساحلية، وذلك فإن حلول الأتراك في الجزائر أعطى الاستقرار اللازم والنسبي لذلك العصر ووضعوا حدا لتقلبات التي كانت تثيرها الحروب المحلية والفتن كما احبط الأتراك أطماع الإسبان الذين كانوا على وشك السيطرة التامة على البلاد المغاربية.

فإن الجزائريين استنجدوا بالأخوين "عروج" و"خير الدين" لإنقاذهم من الاحتلال الأوروبي وبفضل تلك المساعدة شعر أبناء الجزائر بدرجة عالية والأمان والطمأنينة في ظل الدولة العثمانية القوية وانطلاقا من هذه الحقائق فإن العثمانيون منقذون وليسوا مستعمرون[2].

والرأي نفسه نجده عند الدكتور (جلال يحي) حين قال: "إذا كان العثمانيون قد استخدموا السيف وسيلة لتوحيد الشرق الأدنى فان طريقتهم لتوحيد شمال إفريقيا، قد تم بوسائل أخرى ويرجع ذلك إلى ظروف المغرب العربي في ذلك الوقت[3]".

ومن مميزات هذا العصر أن الجزائر عرفت تطورا ملحوظا من خلال الحياة الأدبية الفكرية والثقافية، فلقد بلغ الجانب الثقافي خلال العهد التركي شأنا كبيرا وتطورا ملحوظا ساهم فيه الأتراك والأهلي على حد السواء بداية ببناء المساجد والزوايا والكتاتيب وانتشارها عبر جميع المناطق وكذلك انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المتخصصة لها من الزوايا والأضرحة الموجودة في مختلف المناطق مثل- بجاية-العاصمة، والقائمة طويلة والتي تعتبر أماكن مقدسة[4].مثل (سيدي مخلوف، سيدي التلمساني، سيدي ميمون، سيدي عبد الرحمان...)، كما كانت أيضا للعائلات

[1]- صالح فركوس، المرجع السابق، ص. 131-135.

[2]- بوحوش عمار، "التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م"، دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت، 1997، ص. 52.

[3]- يحي جلال، "العالم العربي الحديث والمعاصر"، المكتب الجامعي الحديث، ج1، ص. 33.

[4]- أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)"، ج1، المرجع السابق، ص. 266.

الكبيرة زواياها الخاصة وزوايا خاصة بالأتراك والكراغلة مثل زاوية "رضوان خوجة" الذي كان قائد الدار والذي بنى الزاوية لنفسه ودفن فيها[1].

وإلى جانب الزوايا هناك المدارس فقد كانت منتشرة بكثرة منها المدارس الابتدائية والثانوية التي كانت قد أسسها بعض الحكام ورغم أن "الورثلاني" في رحلته انتقد تدهور أحوال الناس بتدهور الأوقات وأن الولاة لم يشغلوا ببناء المدارس فإن المعروف تاريخيا والمشهود به أن هذه المدارس مازالت قائمة إلى وقتنا الحاضر كما نجد في ولاية عنابة والقل وجيجل وقسنطينة وكان يلحق بالمدرسة مسجدا ودار كتب وكانت منتشرة وكثر عددها، ويذكر الباحثين أنه ولما دخل المستعمر الفرنسي كانت المدارس منتشرة في عدة ولايات من الوطن وهذا يدل على أن كل طفل في السادسة والعاشر كان له مكان في المدرسة[2]

أما التعليم الثانوي والعالي فقد وجد الفرنسيون له في الجزائر مدارس كثيرة والمعاهد والمؤسسات ومكتباتقيمة وذلك بشهادة المستعمر نفسه الذين جمعوا المحفوظات من مكتبات المدن الجزائرية وكانوا مندهشين من كثرة الكتب والمجلدات التي وجدوها ومن تنوعها والعناية بها، بالإضافة إلى أن المخطوطات والنساخة التي اشتهرت بها الجزائر ويذكر "الورثلاني" أن أحمد التليلي كان بديع الخط سريع اليد وكان ينسخ كراسا من القالب الكبير أثناء السفر[3].

رغم التطور الذي عرفته الجزائر خلال العهد التركي إلا أن الحياة الفكرية والأدبية والثقافية خلال العهد العثماني محصورة على الشريعة، لأن الاهتمام كان متعلقا بأمور الدين لكونها القاعدة الأساسية في مختلف المؤسسات التعليمية ولكون التوجيه ولكون التوجيه التعليمي للزوايا كان ديني أكثر منه أدبي. فانصب اهتمام العلماء على الفقه والتفسير والحديث لهذا مانت الحياة الثقافية دينية أكثر منها أدبية في الجزائر في العهد العثماني وهي ميزة صبغت عليها وكانت كذلك تتميز بتقلص

[1]– فركوس صالح، "الباي الكبير ودوره في بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب"، الثقافة ، عدد 71، 1982، ص. 18.

[2]– أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، ج1، ص. 274.

[3]– رابح تركي، "الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته، وجهوده في التربية والتعليم (1900–1940)" ش و ن ت، الجزائر (ب ت)، ص. 130.

الحياة العلمية وعدم الاهتمام بالشعر والشعراء، الأمر الذي أدى إلى هجرة الراغبين في العلم إلى المشرق، فمنهم من عاد ومنهم من لم يعد كما انتشرت البدع وتعددت الطرق الصوفية[1].

لقد سيطرت على الحياة الثقافية التصوف والشرح على أعمال التقدمين فابتعدت الصوفية تماما عن مفهومها والذي يعني الصلاح، وقد شاعت أيضا في أوساط العلماء والفقهاء والولاة فتحولت الزوايا من مراكزها الثقافي إلى الخرافة والانزواء حتي كادت الحياة الثقافية تخلو من الإبداع والأصالة حتي سارت في مجرى التقليد والإتباع وعدم التحكم في العقول وقد لخص "عبد القادر الراشدي" هذا بقوله:

خبرا عني المريد بأني كافر بالذي فضته العقول

ما فضته العقول ليس من الدين بل الدين ما حوته النقول[2]

وهذا دليل على الجمود والخمول والاعتماد على النقل والتقليد الذي كاد أن يكون أعمى وقد نتج عن هذا الضعف في التعليم بكامل القطر الجزائري وانتشار التصوف حيث كان من أبرز تصورات هذه المتصوفة "التوكل على الله"، الذي أدى إلى الخمول والذي أدى حتما إلى الانحطاط في العلوم وقد تجلى هذا الانحطاط في قول "أبو راس الناصري": إذ في زمن عطلت فيه مشاهير العلوم ومعاهد وسدت مصادره وموارده وخلت دياره، ومواسمه وعفت أطلاله ومعامله، لا سيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان واستوطن فحولها زوايا الخمول[3]..."

كما جاء أيضا في بعض القصائد الشعرية نقدا لادغا لهذا الانحطاط الثقافي والفكري لدى العلماء ونذكر ما أورده "الورثيلاني" في رحلته:

واود لو كانت مجالس بينهم بضحين في سبيل الهداية معلما

وشاحا الحشا إن لم أجد من علم يهدي الورى بها ومتعلم[4]

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، "أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت، 1990، ص. 178.

[2]– ابن ميمون محمد، "التحفة المرضية، في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، تحقيق وتقديم، محمد بن عبد الكريم، ش و ن ت، الجزائر، 1908، ص. 84.

[3]– الناصر أبو راس، "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1632، ص. 2-3.

[4]– الورثلاني الحسن، "نزهته الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار"، تحقيق محمد بن شنب، فونتانا، الجزائر، ص. 92.

إضافة إلى أن العثمانيين كان انشغالهم منصبا على التجارة وجمع المال وليس العلوم، فبعد استقرارهم بالبلاد عملوا على تعزيز الجيش لصد العدو والاعتراف بقوتهم خلال خطب الجمعة التي كانت تقرأ باسم السلطان العثماني وأن عدم فهمهم للغة العربية حال دون اهتمامهم بالأدباء كاهتمامهم برجال الحرب[1]. كما أن بعضهم يتعدى على الأوقات المخصصة للتعليم حيث يقول "الورثيلاني" في هذا الصدد: "أصبحوا يأكلون منها وينتفعون بها كالأملاك الحقيقية وهي ليست لهم ولكنهم تمردوا وطغوا وجعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وهذا بسبب اندراس العلم وأهله...". وهذا لا ينطبق على جميع الحكام فهناك من تميز بالعدل واحترام الثقافة[2].

ولكن الدولة العثمانية حتي في عقر دارها لم تهتم بالثقافة والتعليم ولهذا لا يجب تحميل العثمانيين مسؤولية ظهور التصوف وتدهور الحياة الثقافية بالجزائر، لمن سياستهم أعانت على الانحطاط فهم لم يكونوا حاملو مشروع ثقافي ولم يشكلوا في نفس الوقت عائقا في وجه استمرار الحياة الثقافية[3]. بل كان بعض الحكام يحترمون العلماء وشجعوا بناء المساجد والمدارس الابتدائية والثانوية لهذا يقول الفرنسيون: "بأن الجزائر تكاد تنعدم فكل إنسان تقريبا يعرفون القراءة والكتابة رغم عدم عناية العثمانيين بالثقافة[4]".

وبرز في فترة العثمانيين علماء وإن كان عددهم يعد في أصابع اليد، فقد برز علماء في الدين وحققوا بنشاطهم الفكري والعلمي ما يظل التاريخ يذكرهم ومنهم "أبوراس الناصري" الذي ناظر علماء المشرق والمغرب الذين اعترفوا له ببراعته ولقبوه بشيخ الإسلام، كما أنه تناظر مع علماء الوهابية وانتقدهم حيث يقول: " لقيت علماء الوهابية ثم تناظرنا..." فعلمت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع[5].

---

[1]– قداش محفوظ، "الجزائر في العهد التركي"، الأصالة، العدد 52، 1977، ص. 10.

[2]– الورثيلاني، المرجع نفسه، ص. 92.

[3]– أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، ج1، ص. 185.

[4]– الميلي محمد مبارك، تاريخ الجزائر القديم والحديث" ج3، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964، ص. 318.

[5]– بو عمران الشيخ، "الشيخ أبوراس الناصري ورحلته الثقافية"، محاضرات الموسم الثقافي، منشورات المجلس الإسلامي، الجزائر، 1999– 2000، ص. 38.

كذلك نجد "يحي الشاوي" هو الآخر ضاع صيته في اسطنبول لمشاركته في المناظر والدروس لذا كرمه السلطان العثماني وحظي بمكانة في مصر بعدما تصدر للإقراء بالأزهر والتدريس بعدة مدارس حتى سمي أمير ركب حاج المغارب(+).

ورغم ما قيل عن الحياة الثقافية في الجزائر إبان الحكم العثماني إلا أن حركة التأليف في المجال الثقافي كانت نشيطة بحيث لا نكاد نجد عالما إلا وله تأليف وفي شتي العلوم ومن أشهرهم "أبوراس الناصري وابن حمادوش[1]".

والملاحظ أيضا، فالتعليم كان منتشرا تقريبا في كامل أنحاء البلاد لكنه بقي تقليديا وغلب عليه التصوف الذي كثر في هذا العهد وكان هذا التصوف على نوعين تصوف راقي يبحث في العقل والروح وأمور العبادة وتصوف منحط أو شعبي الذي يهتم بالكرامات وعبادة المشايخ وهو أقرب إلى الخرافة وبذلك اختلط التصوف بالبدع والشعوذة والخرافة وخرج بذلك عن المألوف من زهد وعبادة، فتحول العلم إلى الخرافة وحل السحر محل العلم[2].

ويرجع انتشار التصوف خلال العهد العثماني إلى بساطة الناس وتصديقهم للخرفات المرابطين ولهذا انتشرت الزوايا، خاصة بعد اختبار الريف مركزا لنشاطها ولهذا انتشرت الطرق الصوفية في الجزائر شرقا وغربا والتي كان منشأها المغرب الأقصى ماعدا القادرية التي جاءت من المشرق والتيجانية التي كان منبعها عين ماضي، حيث وجدت بالجزائر ما لا يقل عن 23 طريقة لها و349 زاوية والتي يديرها حوالي 75 شيخا وستة ألاف مقدم وكان أكثرها انتشارا الرحمانية التي تضم 156000 فرد منهم 13 ألف امرأة، أما التيجانية فلها 60000 تابع، هذا بالإضافة إلى الدرقاوية الشاذلية الطبية[3]...

- **مراكز التعليم:**

لقد تميزت بتعددها سواء في المدن أو الأرياف وتتمثل في:

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، ج1، ص. 294.

[2]- المرجع السابق، ص.490.

[3]- الغالي العربي، "الثورات الشعبية أثناء العهد التركي"، رسالة ماجيستر (غير منشورة)، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة دمشق، 1988، ص. 151.

(+): يحي الشاوي: هو فقيه مالكي، عمل مقرئ بجامع الأزهر.

أ. الكتاتيب:

كانت بمثابة مرحلة التعليم الأول أو المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر تدرس بها الشريعة وكانت هذه المؤسسة التعليمية منتشرة في كامل البلاد، الأمر الذي أدهش الفرنسيون عند احتلاله للجزائر إذ كتب الجنرال "دوماس" تقريرا له: إن التعليم الابتدائي في الجزائر كان منتشرا أكثر مما يتصوره الإنسان عموما، بالأهالي الثلاثة أظهرت أن نصف السكان من الذكور هم يعرفون القراءة والكتابة".

كما علقت على ذلك الباحثة "افون ثوران" صاحبة كتاب "مجابهات ثقافية" بقولها:

"ان لم يكن كل الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة فإنهم جميعا قد مروا بالمدرسة الابتدائية وكانوا يستطيعون قراءة القرآن في صلواتهم[1]".

وقد خصصت الكتاتيب لحفظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب وكان عدد الذي يدرسون في الكتاب الواحد بين خمسة عشر وعشرين صبيا، يقضون في الكتاب ثلاثة أو أربعة أعوام والذين يرغبون في مواصلة الدراسة يبقون سنين أخرى لحفظ القرآن عن ظهر القلب أو يلتحقون بالمدرسة أين يتلقون تدريسهم في الفقه والتوحيد على يد العلماء أئمة وقضاة هذا في الحواضر أما في الأرياف فيلتحقون غالبا بالزوايا لإقبال درستهم الثانوية[2].

ب. المساجد:

كانت المعاهد الأولى للتعليم منذ العهود الأولى للإسلام إلى جانب وظيفتها الدينية تقوم بالوظيفة التعليمية، واستمرت على هذا المنوال عبر مختلف الفترات الإسلامية، رغم ظهور المدارس في القرن 5 للهجري وبالرغم من انتشار الواسع لهذه الأخيرة لم تستطع الإنقاص من قيمة المساجد والتي كانت مثل الرابطة بين الأهالي في الريف أو المدينة، لأنها كانت تؤدي فيها صلاة الجمعة والعيدين كما كانت هذه المساجد أماكن لأداء الصلاة ومعالجة مشاكل الناس، إضافة إلى التحريض ضد العدو وتجدر الإشارة إلى أن هذه المساجد كانت نتيجة المبادرة الفردية لأن الدولة

---

[1]–TURIN (Y), Affrontement culturels dans l'Algérie colonial, (1830–1880), F, Masppero, Paris, P. 127.

[2]– العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، سرتا، العدد3، ماي، 1980، ص. 62.

لم تكن تولي أهمية لبناء هذه المساجد وغيرها من المؤسسات الدينية والملاحظ على حواضر الجزائر خلال العهد العثماني، نجد كثرة المساجد التعليمية حيث انفردت كل مدينة بجامعها الأعظم الذي يمثل معهدا للتعليم كالجامع العظيم في قسنطينة وجامع بجاية وجامع تلمسان والجامع الأعظم في مدينة الجزائر، الذي كان خلال العهد العثماني مركز للنشاط الديني والقضائي إذ فاق نشاطه المساجد الحنفية كجماع الجديد الذي كان منبرا لمناظرات العلماء، إلا أن هذا لم يؤهله ليصبح كالجامع الأزهر والزيتونة[1]، أما مدينة قسنطينة حسب الورثيلاني الذي زارها في القرن 18م، يقول أنه يوجد بها خمسة (15) جوامع خطبة[2].

أما أشهر مساجد بجاية فهو الذي بناه مصطفى باشا إضافة إلى المسجد الذي بناه أحمد القلي بالقل في سنة 1754م، اعترافا منه بمساعدة أهلها[3].

كما عرفت حواضر الغرب الجزائري عدّة مساجد بلغ عددها في تلمسان حسب "ايمريت" 50 مسجدا أغلبها صغيرة، أما بمعسكر فهناك ثلاثة مساجد رئيسية: مسجد السوق والمسجد العتيق وكذا المسجد الكبير، لكن رغم وفرة المساجد إلا أن بعضها كان في حالة متدهورة ومنها من لم تكن فيها الأوقاف أو في حالة الصيانة...

ج- الزوايا:

احتلت الزاوية الصدارة بين مراكز الثقافة والأدب والتعليم خاصة الأرياف وقد مثلت الزاوية والمسجد في آن واحد، فهي مقر للعبادة والدراسة كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة، بالإضافة إلى أنها مأوى لعابر السبيل كما عملت على دمج فئات المجتمع بغض النظر عن الانتماء العرقي أو الجهوي، وبالتالي كان انتشارها كبيرا على مستوي الأرياف خاصة حيث انعدمت الدراسة الدراسة فلعب دورها في الحياة الثقافية والتعليمية[4].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، ج1، ص. 254.

[2]- الورثيلاني، المرجع السابق، ص. 685.

[3]-أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص. 250.

[4]- سي يوسف محمد، "نظام التعليم في بلاد الزواوةبايالة الجزائر خلال العهد العثماني"، الحياة الفكرية في الولايات العربية، ج1، 1990، ص. 193.

وقد قسمت الزوايا في الجزائر إلى نوعان: زوايا حرة لا تنتسب إلى ولي أو طريقة صوفية يدير في شؤونها مجلس يتكون من الطلبة، أما النوع الثاني فهو يخضع في تسييره للشيخ المؤسس أو خلفه، وقد تتلمذا في هذه الزوايا غالبية علماء الجزائر أمثال: سعيد قدورة، أبوراس الناصري، الأمير عبد القادر، محمد بن علي السنوسي، حيث كانت تجلب إليها العديد من الطلبة مثل زاوية "سيدي التواتي" بها نحو مائتي طالب وهي مركز لتخريج القضاة والعلماء لكامل البلاد، وكانت الزاوية غالبا ما تظم غرف[1].لإواء الطلبة وأخرى للدراسة وتكون تحت إشراف المقدم، أما بعض الزوايا فكان الإشراف عليها متوارثا في العائلة.

وكان من مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الزوايا في كامل أنحاء البلاد خاصة الأرياف إضافة إلى انتشار الطرق الصوفية التي كان مركزها الزوايا، فمدينة الجزائر بها حوالي اثني عشر زاوية واثنا وثلاثون ضريحا، أما مدينة قسنطينة فقد وجدت بها ست عشر زاوية منها ما كان تابعا للعائلات الكبرى مثل زاوية أولاد الفكون وأولاد حلول، كما اشتهرت أيضا تلمسان بزوايا بالغرب الجزائري كالزاوية الموجودة في جبل بني راشد والتي كان لها دور في نشر العلم في الأرياف[2].

وعلى هذا الأساس عملت الزوايا على تحفيظ القرآن الكريم ونشر الدين الإسلامي في المناطق النائية، كما كانت ومازالت مخازن للكتب والمخطوطات، كما ساهمت في إزالة الفوارق الاجتماعية وتوطيد العلاقات بين فئات المجتمع وحاربت السلطة المستبدة، فالزاوية الواحدة من تضم الفقير والغني والعالم والأمي، لكن اعتمادها على المنهج التقليدي في التعليم أدى إلى الركود والجمود الفكري والثقافي وكانت هذه الزوايا تعتمد على المتمدرس وعلى العلماء المدرسين بها على أموال الهبات والزكاة والهدايا التي يقدمها أفراد القبيلة، إضافة إلى ما يجمعه الطلبة من المناطق التي تخضع خاصة لنفوذها دون أن ننسى تبرعات المسافرين والزوار الذين يقصدونها للتبرك بضريح مؤسسها، كما كانت تخصص لها أراضي يعود مردودها لصالح المدرسين والطلبة وغالبا

[1]– بو عزيز يحي، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19م–20م"الثقافية، العدد63، 1981، ص. 16.

[2]– أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، ج1، ص. 268–269.

ما تكون الأراضي محيطة بها يشتغل فيها رجال الزاوية، كما تجدر الإشارة هنا إلى هذه الأماكن المخصصة للزوايا لا يجرؤ أحد المساس بها أو التعدي عليها.

د- المدارس:

تأسست المدارس في الجزائر من طرف الموحدين حيث ادخلها يعقوب بن يوسف عام 1184م وكان ظهورها بعدما لم يستطيع المسجد القيام بكل المهام وكانت المدارس تقوم بتعليم الدين وعلوم اللغة ومبادئ القراءة والكتابة والحساب وطرق التداوي[1].

وقد عرف أبوراس الناصري المدرسة بقوله: " المدرسة المتعارفة عندنا الآن وهي التي تبني لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه[2]".

لقد عرفت المدارس انتشارا واسعا خلال العهد العثماني حيث لا يكاد يخلو أي حي من أحياء المدن من هذه المدارس، الأمر الذي أذهل كل من جاء وزار الجزائر خلال العهد العثماني من كثرة مدارسها وقلة الأمية بين سكانها[3].

لعبت هذه المدارس في المدن نفس الدور الذي لعبته في الريف وهي التي كانت تزود الدولة مثلا بما تحتاجها من موظفين، وقد وجدت المدارس حواضر الجزائر، فمدينة الجزائر تحتوي على "299" مدرسة يدرس بها 5583 تلميذا منها المدرسة القشاشية التي أشادت بها "أبوراس الناصري" والتي اعتبرها مركزا للتعليم العالي[4].

أما مدارس قسنطينة، فلم تكن تقل أهمية عن مدارس مدينة الجزائر، فقد عرفت هي الأخرى إشعاعا ثقافيا خاصة عهد صالح باي الذي أسس المدرسة الكتانية عام 1776م لتعليم مختلف العلوم[5].

---

[1]- سي يوسف محمد، المرجع السابق، ص. 193.

[2]- أبوراس الناصري، عجائب الأسفار، ص. 91.

[3]- أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، ج1، ص. 274.

[4]-أبوراس الناصري، المرجع نفسه، ص. 91.

[5]- نور الدين عبد القادر، "صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي"، مطبعة اليعث، قسنطينة، 1965، ص. 213.

أما مدارس تلمسان فقد بلغ عددها 50 مدرسة صغيرة مخصصة ل15000 نسمة بالإضافة أيضا إلى مدرستين للتعليم العالي وهما مدرسة "الجامع الكبير" ومدرسة "أولاد الإمام" يترد عليها حوالي ألفي تلميذا وستة مائة طالب للمدرستين الأخيرتين[1].

وقد استفادت مدارس الغرب الجزائري من إصلاحات "الباي محمد الكبير" وهذا لتدعيم وتنشيط الحياة الثقافية، حيث أسس المدرسة المحمدية في معسكر لتصبح من اكبر مدارس بايلك الغرب وقد أشار إليها أبوراس الناصري في حديثه عن المدارس وهي المدرسة التي قال عنها صاحب الثغر الجماني كاد العلم أن يتفجر من جوانيه[2].

أما مدرسة مازونة ذات الشهرة المغاربية والتي شيدت نهاية القرن 16م، من طرف الشيخ محمد بن الشريف الأندلسي، حيث كانت ملتقي العلماء ومقر للمبادرات الفكرية وقد درس بها عدّة علماء بارزون أمثال أبوراس الناصري وقد اشتهرت بوجه خاص بعلم الفقه والحديث وعلم الكلام[3]. وبالرغم من كثرة المدارس في الجزائر إلا أنها كانت تفتقر لمؤسسة للتعليم العالي تضاهي الأزهر.

هـ- الرباط:

اشتهرت الرباط بحراسة الثغور وهذا منذ أوائل الفتح الإسلامي وازدادت أهميتها عندما تكالبت تلك الأطماع المسيحية على شواطئ المغرب العربي والشمال الإفريقي اثر الحروب الصليبية، فكان الرباط عبارة عن الإقامة للجهاد ضد العدو بالحرب، لذا اعتبر المرابطون أو رجال الرباط آنذاك من مجاهدون فالرباطات كانت عبارة عن معاهد دينية تشبه الزوايا غير أنها مواقع أمامية في وجه العدو وكان الهدف منها الجهاد حيث يكون الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت لكنها لم تخضع لأي طريقة صوفية وجل مؤسسوها كانوا علماء الدين[4].

---

[1]TURIN (Y), Affrontement culturels dans l'Algérie colonial, (1830-1880), F, Masppero, Paris, P. 131.-

[2]- أبوراس الناصري، المرجع نفسه، ص. 78.

[3]- BELHAMISSI « histoire de mazouna, des origines à nos jours », imp, Ahemedzabana, Alger, 1982, P.49-50.

[4]- ابو عبدلي المهدي، "الرباط والفداء في وهران والقبائل"، الأصالة، عدد 13، 1973، ص. 22.

ونظرا لاشتداد الخطر الإسباني، اهتم بها العثمانيون بعدما انحصرت بالغرب الجزائري لاستمرار التواجد الإسباني في وهران والمرسى الكبير، وكان لهذه الرباطات دورا كبيرا في تحرير وهران بعدما علت على تضيق الخناق على الإسبان ولقد شجعها "الباي محمد الكبير" الذي أحيا الرباط خلال الفتح الثاني لوهران عام 1792م، حيث جعل التعليم مقتصرا على الرباط وهذا تشجيعا منه للالتحاق به من أجل الجهاد وقد وصفه "ابن سحنون" بقوله:

ورتب المرابطون في الجبل من كل حبر عن هوى الموت جبل

وكل مقدام وهمام وبطل منذ بدأ باد الضلال وبطل

مؤمرا شيخنا الجلالي محمد الأحمق بالإجلال

وقد شارك في هذا الرباط عدّة علماء منهم الطاهر بن حواء ومحمد المصطفي بن زرفة، والشيخ محمد بوجلال الذي يرأسه حيث كانوا يدرسون ويحاربون[1].

و- المعمرات:

هي عبارة عن معاهد دينية لتعليم القرآن والعلوم عموما، انتشرت في البوادي بمنطقة القبائل خاصة بعد الاحتلال الإسباني لها[2]، وحسب "بوعزيز" فهي تشبه كثيرا الكتاتيب القرآنية وأحيانا تشبه الزوايا خلوتي وكثيرا ما أزرت الرباط في الحرب[3]،كانت لها قوانين داخلية محكمة وهو الفرق بينهما وبين الزاوية التي تخضع لشيخ الطريقة أو مقدمها وفي حالة حدوث أي خلاف داخلي يتولى قدماء المتخرجين منها مهمة الإصلاح وارجاع الأمور إلى نصابها، فكانت المعمرة تسير ذاتها وكذلك طلباتها منقسمون إلى طبقات:

- **القداش:** هم التلاميذ الصغار
- **الطلبة:** وهم فوق القداش سنا وثقافة

[1]- ابن سحنون أحمد علي الراشدي، "الثغر الوهراني"، تحقيق وتقديم، المهدي ابو عبدلي، مطبعة البعث،قسنطينة،1979، ص.233.

[2]- ابو عبدلي المهدي، "الرباط والفداء في وهران والقبائل"، الأصالة، عدد 13، 1973، ص.26- 27.

[3]- بوعزيزي يحي، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19م- 20م"، الثقافة، العدد 63، 1981، ص.20.

- **المقدمون والوكلاء والشيوخ الكبار:** وهي أعلى طبقة مهمتها تسيير المؤسسة التي يرأسها الشيخ المسن يساعده عدد كبار الطلبة والمقدمين، بالإضافة إلى مهمة التعليم كانت تأوي المساكن وتقدم لهم المساعدات[1].

ي- المكتبات:

لقد ضمت الجزائر عدة مكتبات والتي تحتوي على العديد من الكتب التي كانت إما من إنتاج محلي عن طريق التأليف أو النسخ أو وصلت الجزائر مصر والحجاز والأندلس، "فالتمغروطي" يذكر أن مدينة الجزائر كانت غنية بالكتب والمؤلفات في القرن 16م وكذلك في تلمسان والتي اشتهرت بها المكاتب ومعسكر ومازونة، بما تضمنته من محطوطات ومؤلفات وقد وصل عدد المكتبات بها "20" مكتبة منها المكتبة التي أوقفها "الباي محمد الكبير" على المدرسة المحمدية بمدينة معسكر وكذلك الشيء نفسه يقال عن قسنطينة التي كانت زواياها تعج بالمكتبات التي كانت من الشارقة والأندلس إضافة إلى المؤلفات المحلية[2].

فغنى المكتبات الجزائر كان نتيجة انتشار حركة التأليف والنسخ التي عرفتها الجزائر بالإضافة إلى الكتب التي كانت تصل عن طريق الحجاج والعلماء الرحالة، فالجبروتي "ذكر أن حاجا من الجزائر كان يحاول إغوائه حسب قوله ليبيعه كتاب في الفلك للسمرقندي، وبعد رفضه اشترى منه نسخة ل: إبراهيم الزمردي ب 20 ريال إضافة إلى عدد كبير من الكتب[3].

كما يذكر "ابن حمادوش" في رحلته عددا من الكتب التي اشتراها، لكن شراء الكتب لم يكن دائما للاستفادة العلمية بل كان البعض للتفاخر بها خاصة بين بعض العائلات وحتي شيوخ القبائل

---

[1]- سي يوسف محمد، "نظام التعليم فب بلاد الزواوةبايالة الجزائر خلال العهد العثماني"، الحياة الفكرية في الولايات العربية، ج1، 1990، ص.194.

[2]- التمغروطي أبو الحسن، "النفحة المسكية في السفارة التركية، بدون دار النشر، وسنة الطبع، ص. 139.

[3]- الجبروتي عبد الرحمان، "عجائب الآثار في التراجم والأخبار' ج2 ضبطه وصححه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، 1997، ص. 74.

كانوا يقلدون الملوك والسلاطين في إنشاء خزائن الكتب مثلما فعل "أبو محمد الصخري بن أحمد الشريف " شيخ قبيلة الداودة المعادية للأتراك[1].

وهناك كتب وصلت الجزائر عن طريق العثمانيين أنفسهم فالقضاة االدراديش الذين يرافعون الجند من اسطنبول غالبا ما كانوا يحملون مكاتبهم الخاصة معهم إلى الجزائر، كما استفادت الجزائر من تراث الأندلسيين الذين هاجروا إلى الجزائر وجلبوا معهم كتب كثيرة، وهذا ما أشار إليه التمغروطي بقوله: ... وتوجد فيها(مدينة الجزائر) كتب الأندلس كثيرا[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه كلن في الجزائر نوعان من المكتبات منها العامة والخاصة وغالبا ما كانت هذه المكتبات بجوار المسجد أو المدارس، فالمكتبات العامة كانت ملحقة بالمساجد والمدارس ضف الزوايا، حيث كانت مساجد الخطبة تحتوي على خزائن الكتب التي يستفيد منها العلماء والطلبة. أشهرها مكتبة الجامع الكبير بمدينة الجزائر وكذا مكتبة المدرسة الكتانية في قسنطينة[3].

وقد ذكر ابن المفتي أن الجامع الكبير وجد به حوالي 300 مجلد وهذا بالرغم من الإهمال والتلف والنهب الذي تعرضت له[4]، أما المكتبات الخاصة فعددها كبير جدا وتعود خاصة إلى تلك العائلات التي نالت شهرة كعائلة الفكون التي تملك أضخم مكتبة وهي مكتبة حمودة الفكون[5].

إضافة إلى هذه المراكز الثقافية والعلمية، كانت الدكاكين التجارية تستعمل لشراء والبيع نهارا وللمسامرات ليلا، وحتي منازل العلماء كانت مراكز يومية يتلقى فيها الطلبة الدروس خاصة

[1]– أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، ج1، ص. 292–293.

[2]– التمغروطي، المرجع السابق، ص. 296.

[3]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 296.

[4]عبد القادر نور الدين، "صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي"، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص. 150.

[5]– – أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص. 305.

فيالأماكن التي لا توجد فيها الزوايا والمدارس ويضاف إلى هذه النوادي المنزلية التي تقام في منازل أعيان البلد كالدايات والبايات والقضاة حيث يجتمع عندهم العلماء لدراسة كتاب ما[1].

فابن ميمون كان له دورا كالنادي يجمع فيه العلماء كابن حمادوش وابن المفتي ابن علي ولبن عمار كما تجدر الإشارة إلى أن معظم هذه الكتب التي توجد بالمكتبات كانت كتب دينية في التفسير والحديث وغيرها، بحكم أن الثقافة خلال العهد العثماني كانت دينية أكثر منها أدبية أو علمية، كما أن الهدف من ذكر هذه المراكز لم يكن بغرض تبيان عددها بقدر ما كان الهدف هو إبراز الدور الذي قامت به من أجل خدمة الدين والثقافة[2].

ن- الوقف:

يعتبر الوقف أحد مظاهر الحضارة الإسلامية لأنه يستند وجوده من الأحكام الشرعية، وقد عرفت الجزائر هذه الظاهرة قبيل مجيء العثمانيين حيث أن الأوقاف تركزت في المدن قرب المناطق التي يدين سكانها بالولاء للزوايا والطرق الدينية وكان أغلبها وقف أهلي، تتقاسمها المؤسسات الدينية لأن الوقف الأهلي كان وسيلة للأهالي للحد من وجود الحكام وأطماعهم أما بالأرياف فكان أغلبها وقف خيري يعود لصالح المؤسسات الدينية والثقافية من زوايا ومساجد وأضرحة[3].

كما تجدر الإشارة إلى أن الوقف عرف تطورا في الجزائر خلال العهد العثماني لاعتبارات سياسية واقتصادية ويرجع تكاثر الوقف في القرن 18، إلى فتاوى العلماء التي شجعت من زيادة الوقف خاصة على المذهب الحنفي والروح الدينية وسياسة الحكام وكذا تأثير رجال الدين والمرابطين، لأن الأوقاف تخضع لأحكام الشريعة تمنع أي تطاول عليها، وبسبب تكاثرها عمد

[1]- ابن ميمون، " التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" تحقيق وتقديم، محمد بن عبد الكريم، ش و ن ت، الجزائر، ص. 60.

[2]- سعيدوني،"الأوقاف بفحص مدينة الجزائر"،"دراسات إنسانية"، عدد خاص، ماي 2001، ص 189.

[3]- سعيدوني،"جراسات تاريخية في الملكية ةالوقف الجباية"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص ص 186، 187.

الأتراك إلى تنظيمها وهذا بإنشاء إدارة محلية يتولها المفتي وينظر في أمورها مجلس علمي يظم العلماء و المؤسسات.

وتتوزع على عدة مؤسسات دينية تعليمية وخيرية أهمها:

- **مؤسسة الحرمين الشريفين:**

استحوذت على غالبية الأوقاف بداخل وخارج الوطن وكانت تمثل الوجه السياسي للجزائر في العالم الإسلامي لان عوائدها توجه إلى فقراء مكة والمدينة ثم إلى المحتاجين بالجزائر[1].

- **وقاف الجامع الكبير :**

لعبت دورا بارزا في الحياة الثقافية والدينية واحتلت المرتبة الثانية بعد أوقاف الحرمين الشريفين وهي تعني بالمساجد المالكية[2].

- **أوقاف سبل الخيرات:**

تذكر المصادر أن مؤسسها كان شعبان خوجة 1583م وهي مخصصة للإنفاق على المساجد الحنفية بمدينة الجزائر والني بلغ عددها 08 مساجد وعدد أوقافها 331 حبسا كان يشرف عليها المفتي الحنفي ويساعده 11 مؤطر أغلبهم من رجال الدين[3].

- **أوقاف الأولياء الأشراف أهل الأندلس:**

تتنوع أوقات المرابطين بالجزائر فنجد 19 ضريحا منها 18 ضريح بمدينة الجزائر، أشهرها أوقاف سيدي الرحمان التي بلغ عددها بداية الاحتلال الفرنسي 69 وقفا منها 11 عقارا.

أما الأشراف الذين يتشكلون من 300 أسرة بمدينة الجزائر كانت لهم امتيازات معنوية أكثر منها مادية بني لهم "محمد بكداش" زاوية 1709م عرفت بزاوية الأشراف[4].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله،"تاريخ الجزائر الثقافي"، ج1، ص .244

[2]– سعيدوني،" الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي"، الأصالة، العدد 89، 1981،63،90.

[3]– الجيلالي عبد الرحمان،"تاريخ الجزائري العام"، دار الثقافة،ط6، بيروت، 1983، ص 424.

[4]– سعيدوني، المصدر السابق، ص 65.

أما الأوقاف الأندلسية فلا تقل أهمية عن الأوقاف الأخرى وهذا راجع إلى استقرار العديد منهم بالجزائر وامتلاكهم للثروات ضخمة نتيجة نشاطاتهم الصناعية والتجارية والزراعية وأعمال القرصنة، وقد خص الكثير منهم جامع الأندلس والزاوية الملحقة به الكثير من الأوقاف تساهم في مجملها بمردود مالي وضعت خصيصا لغرض خيري في فترة معينة[1].

لقد استعملت الأوقاف خلال العهد العثماني في عدة أغراض أهمها تدعيم التعليم بمختلف مستوياته فكانت مصدر عيش الزواية والأضرحة ومصدر نمو المساجد والمدارس والكتاتيب.

وبالتالي فالأوقاف كانت ذات أهمية في خدمة العلم الذي كان مرتبطا بالحركة الدينية، لذا فان مردود هذه المؤسسات الوقفية ساعت على توظيف المعلمين وكذا العناية بالمؤسسات الخاصة، بالتعليم ودفع أجور من الموظفين بها.

إن ما توصلنا إليه من استنتاجات من خلال عرض الحياة الفكري والأدبية في الجزائر أثناء التواجد التركي يمكن تلخيصه فيما يلي:

- أنه وبرغم ما قيل عن الركود والخمود الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني وإهمال الأمور الثقافية إلا أن الجزائر وبشهادة بعض الأجانب كانت خلال هذه الفترة لا تعرف الأمية.
- إن معارف الجزائر خلال هذا العهد غلب عليه طابع العلوم الدينية، وأن علمائها احتلوا مكانة في المجتمع رغم أنهم لم يشكلوا فيما بينهم فئة اجتماعية متلاحمة، كما أن ظروفهم الاجتماعية لم تكن مستقرة.
- إن الحياة الثقافية كان يغلب عليها طابع التصوف الذي فرضت نفسها على الساحة خاصة في القرن 18، 19 بشكل مكثف، ويعود هذا إلى الجمود الفكري والفراغ الثقافي السائد من جهة وغياب الحوار والاحتكاك بين الطبقة الحاكمة والمحكومة من جهة أخرى.
- وبالرغم من أن الطرق الصوفية ساهمت في الركود الفكري بسبب العمياء التي كان يضعها المريد في شيخه إلى درجة أنه أصبح بإمكان شيخ الزاوية توجيه المحكومين نحو المسعى

[1]– موساوي القشاعيفلة،"أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني"، دراسات انسانية، عدد خاص بالوقف، ماي 2001، ص 170

الذي يريده، لكن لا يمكن إنكار دورها في نشر الدين والحفاظ على مقومات شخصية المجتمع الجزائري.

- ساهمت الطرق في الدفاع عن الجزائر أثناء التواجد الاسباني وتعبئة الناس للجهاد بالإضافة إلى دورها الروحي والتعليمي الذي جعل من علمائها وشيوخها رؤساء روحيين للسكان الذين كانوا يسيرون وفق أوامرهم.
- كانت هذه الطرق الصوفية إحدى دعائم الحكم العثماني في الجزائر وانتشار شيوخ الزوايا وبناء المساجد والاهتمام بالتعليم...

مما لاشك فيه أن الحياة الثقافية الأدبية والفكرية في الجزائر خلال العهد العثماني قد عرفت إسهام العثمانيين في تطويرها وهذا يتجلى في بنائهم للعديد من المدارس والزوايا والمساجد في كل المدن والقرى الزوايا والمساجد في كل المدن والقرى وهذا باعتمادهم على منطق التضامن الإسلامي. وهذا دليل على محاولتهم خلق إطار للتواصل مع الأهالي عن طريق السلطة الروحية وقد اشترك كل من الحكام والجنود والكراغلة في إقامة هذه المؤسسات وبالرغم من اهتماماتهم الحربية إلا أن عقيدتهم الدينية تحلت في بنائهم للمساجد والمدارس وكذلك الأوقاف.

- **<u>نشأة الشعر خلال العهد التركيز :</u>**

إن الأغراض التي كتبها الشعراء خلال العهد العثماني كانت متنوعة فمن مدح إلي رثاء إلي أغراض سياسية إلي شعر صوفي ومنظومات دينية مختلفة بالإضافة إلى الشعر الشعبي الذي كان كثيرا ما يوصف الحياة الاجتماعية للناس، كما تجدر الإشارة إلي أن هذه النصوص الشعرية التي تتوفر لدينا قليلة وفي بعض الأحيان ليست كاملة، بل كانت عبارة عن مقاطع تم جمعها من مضامين مراجع مختلفة كانت هي الأخرى تكتفي بالذكر مقطوعات قصيرة فقط باستثناء بعض القصائد مثل قصائد محمد الشاذلي القسنطيني، أما ما يمكن قوله حول هذا الشعر من الناحية الفنية فهو لم يرقى إلي مصاف الشعر الممتاز كالشعر الجاهلي وفي الوقت نفسه هو أدب متوسط، كما أن له أغراض متعددة من فخر ومدح[1]....ومن الشعراء الذين كتبوا في الشعر خلال العهد العثماني نجد مثلا:

[1] شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي-عصر الدول والامارات"، دار العارف ط1، كورنيش النيل، القاهر، ج، م، ع، 11119، ص 150

- أبي الرجال الشيباني وزير المعز بن باديس في غرض الفخر بقومه والذي يقول:

يا آل شيبان لا غارت نجوكم ولا خبت ناركم من بعد توقيد

أنتم دعائم هذا الملك منذ ركضت قبل الخيول لإبرام وتوكيد

وهو افتخار بقومه من آل شيبان ويدعوا أن تضل نجومهم مضيئة في سماء العروبة وأن تظل نيرانهم لا تنطفئ أبدا ببطولاتهم العظيمة.

- كما نجد شاعرا أخر وهو عبد الكريم بن الفكونالقسنطينيالتوفي في أوائل القرن السابع للهجري يفتخر ببلدته "بجاية" ومسقط رأسه قائلا:

دع العراق وبغداد وشامهم فالناصرية م من مثلها بلد

بر وبحر ومرح للعيون به مسارح بان عنها الهم والنكد

حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد

والنهر كالصل والجنات مشرقة والنهر والبحر فالأمواج تطرد

يا طالب وصفها إن كنت ذا نصف قل جنة الخلد فيها الأهل والولد

وهو يفضل الناصرية أو بجاية على بغداد ودمشق، ويقول انه ليس مثلها بلد جمعت بين البر والبحر ومشاهد مرح بأشجارها ونباتاتها البديعة التي تزيل الهم والنكد حيث مجتمع الحب والهواء الطلق، وكأنما البحر مرآة والنهر يدها الثابتة.

ويقول أحمد بن علي المليانى:

العز ما ضربت عليه قبابي والفضل ما اشتملت عليه ثيابي

والزهر ما أهداه غصن يراعني والمسك ما أبداه نقش كتابي

فالمجد يمنع أن يزاحم موردي والعزم يأبى أن يسام جنابي

وهو يفتخر فخرا مسرفا، فالعزم ما ضربت عليه خيامه والفضل ما اشتملت عليه ثيابه والزهر كلماه مما كتبه قلمه، وبلغ من الم أن لا يزاحمه أحد في مورده وإذ عقد مع شخص مودة كانت غذاء لروحه وجرت مجرى الطعام من دمه وشرابه[1].

كما نجد ابن خميس شاغر تلمساني بعروبته ودينه منشدا:

[1] شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي-عصر الدول والامارات المرجع السابق

إنا نبي قحطان لم تغلق لغير غياث ملهوف ومنعة لاجئ

بسيوفنا البيض اليمانية التي طبعت لحز غلاصم ووداج

وهو يفتخر بأصوله من بني قحطان اليمنيين الذين إنما خلقوا لغياب االملهوف وحماية اللاجئ لهم بسيوفهم اليمنية التي صيغت لقطع الرقاب.

وقد كان هناك شعراء كثيرون قبل العه العثماني وخلاله ومن كبارهم نجد ابن قنفذ القسنطيني وله أشعار دينية، وابن مرزوق الحفيد التلمساني وله منظومات تعليمية كثيرة، وإبراهيم التازي وله أشعار صوفية بديعة، ومجمد بن الحباك وله منظومات فلكية، بالإضافة الي أبو عبد الله ألبنا وله غزل بديع، وأحمد بن عبد الله الجزائري له منظومة في علم التوحيد ومرثية بديعة لأستاذه الثعالبي....

فقد كان هناك شعراء في مختلف الأغراض الشعرية (المدح–الفخر–الرثاء–الهجاء....) ومن الحق أن الشعر في الجزائر خلال العهد العثماني عرف نوع من التطور سواء نظم على لسان البدو من الأعراب، أو على لسان أهل الحضر والمدن، والجزائر في ذلك مثل بقية البلدان العربية عامة إنما كانت تعتني بالشعر الفصيح والشعر العامي معا ومن الحق أن الهجرة الأعرابية الكبرى إلى الجزائر استطاعت مند القرن الخامس للهجري أن تفرض لغتها العروبية على سكان البدو وسفوح الجبال والسهول والحواضر.[1]

بفضل امتزاج الأعراب بالبربر في المعاش وعن طريق المصاهرة والذي دفعهم إلى التخاطب بالعربية، الأمر الذي جعل الشعر خلال العهد العثماني يعرف نوعا من التطور خاصة عن طريق الترجمة لمشايخ الطرق الصوفية وفي أخبار الأندلس وتراجمها. كما نجد انتشار الشعراء والشعراء من خلال الأغراض المتمثلة في مدح الولاة العثمانيين ومدح شيوخ الزوايا والعلماء الأجلاء على عند الشاعر القوجيلي في إكثاره من المديح على الفقيه علي بن عبد الوحيد الأنصاري في قوله:

أبو الصلاح في الكرام علا من لا يماثله في الناس من أحد

بحر طمى فرمى درا لملتقط غيث همى فنما نفعا لمجتهد

[1] المرجع السابق

وهو في قوله هذا ينعت الشيخ بالصلاح ويرفع من درجاته فوق الناس وهو يشيد بعلمه وبلوغ منتهاه.

ونجد أيضا الشاعر الشهاب بن مخلوف الذي يمدح أبا تاشفين في قوله:

إمام تولى الله تشيد فخره فما شئت من مجد ومن كرم عد

يعد إلى الأعداء كل كتيبة بها الجرد والفوارس كالأسد

فهو يقول انه إلى كتائب تضرب خيلها الأرض بحوافرها، ويصرب فرسانها الأعداء ضربات قوية.[1]

بالإضافة إلى الشاعر محمد بن يوسف القيسي الثغر التلمساني في مدحه حيث يقول:

يا إمام الهدى وشمس المعالي وغمام الندى وبدر النوادي.

حيث أنه يشيد به ويجعله إمام الهدى والشمس المعالي وسحاب الكرام.

أما فيما يخص الشعر الشعبي فقد كان له دور كبيرا في هذه الفترة وله عدد كبير من الشعراء في مختلف الأغراض خاصة التصوف والحرب ورثاء لرجل الدين وغيرها، مثل ما نجد عند بلقاسم الرحموني في قصيدته التي صورت أحوال مدينة قسنطينة عموما والتي لم تكن سياسيا ولم تكن صد الحكم العثماني، بل كانت ضد الدخلاء على المدينة في أحوال المعيشة

عام مبتكر هاي سيدي بالكساد وغلات المعيشة النعما

باح كل شيء بلا كتما في بلد قسنطينة الدهما[2]

وكذلك نجد محمد الشاذلي وه يخاطب حاكما عثمانيا فيرى فيه البدر الذي رحل واختف النور برحيله وعودته بزيارته مرة أخرى وكيف أن النوم فارق جفنيه بغيبته حيث يقول:

دعت لكم كل الرعية بالمنى لسيركم فيها سير أولي الخير

وبالعدل والإنسان مع ردع ظالم يريد به أخذ الحقوق بلا فكر

كذلك قصيدته في مدح قسنطينة فقد صور جمالها وموقعها وهوائها يقول:

قسنطينة الغراء فزت ببهجة وعز كل البلاد ورفعة.

[1] المرجع السابق،ص ض 141، 148.

[2] أبو القاسم سعد الله، "محمد الشاذلي دراسة من خلال رسائله وشعره"، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 101.

كأنك فوق الكهف سلطان قد علا سرير عزيز الملك وهو ذو سطوة[1]ومن هذا العرض السريع لأهم الشعراء وشعرهم خلال العهد العثماني يتبين لنا: أن الجزائر عرفت خلال التواجد العثماني في الجزائر الشعر الفصيح والشعر العامي ومختلف أغراضه، واستطاعت بفضل التراجم عن الطرق الصوفية والهجرة الأندلسية أن يبرز كثير من هؤلاء الشعراء الجزائريون برزوا في كتاباتهم الشعرية المختلفة، فقد كتبوا حول العلماء ورجال الدين ووصف المدن الجزائرية ومدح يوخ الزوايا والطرق الصوفية، فإننا يمكن القول أن الشعر في الجزائر خلال هذه الفترة قد تخطى كل العقبات التي واجهته والظروف الصعبة التي أحاطت به، فقد جعل لنفسه مكانة مرموقة تلفت الأنظار نحوه وكذا أن تجلب له العديد من الدارسين الذين يهتمون به.

3-نهاية فترة الحكم العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي:

لقد حرصت الجزائر بعد نهاية الحكم العثماني على توسيع التعليم عبر جميع مناطق الوطن ونتج عن ذلك انتشار المدارس والزوايا والكتاتيب والارتقاء إلى التعليم الثانوي والعالي. ميزها إشعاع ديني ثقافي عبر الأزمنة المتعاقبة، وتوافد عليه طلاب العلم من كل انحاء الوطن، حققت نتائج إيجابية، بالدور الذي اضطلع عليه رجالاتها وما قدموه من جهد علمية وتربوية خدمة للأمة، أثناء الثورة التحريرية وبعد الاستقلال، لا يزال دورها فعالا في الحفاظ على مقومات ووحدة ومحاربة الاغتراب، إنها الزوايا التي نسقط عنها الضوء في هذه الصفحة من تاريخ الجزائر ومكوناتها الثابتة عبر العصور.

كان التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830، منتشرا انتشارا كبيرا يعتمد على ما يسمى الكتاتيب القرآنية والمساجد والزوايا، وكان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين مراكز تعليمية باهرة يؤطرها أساتذة متمكنون من علوم الفلسفة، الفقه، الأدب، النحو، الطب والفلك كانت المدارس الكثيرة العدد منتشرة في ربوع البلاد، وكانت هناك أكثر من 2000 مدرسة للتعليم مثلا الابتدائي والثانوي والعالي، فكان هناك شباب متعطش للعلم والمعرفة[2]

[1] سعيدونيناصر،"النظاماالمالي في الجزائر"، بين فترتي 1800-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانة، الجزائر، 1979،ص 240.

[2] أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزار الثقافي"، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص ص 264، 265.

كانت أكبر المعاهد العلمية التربوية في مدن الجزائر منها تلمسان، مازونة، بجاية، قسنطينة وكانت هناك مدارس يزاول فيها التعليم في المرحلتين: الثانوي والتعليم العالي.

كما كانت الزوايا في القطر الجزائري منها في ميزاب وجبال جرجرة والجامع الكبير بتلمسان وزاوية الأمير عبد القادر ومليانة وزاوية بني سليمان، وجامع سيدي لخضر بقسنطينة وزاوية سيدي عقبة ببسكرة فقد تزعمت في بداية الاحتلال المقاومة باسم الجهاد، فلما أدرك الاستعمار قوة تأثيرها في النفوس سعى إلي تحديدها أو ترويض شيوخها بشيء من الوسائل إلي أن تمكن من صرف بعضها عن دورها الروحي والتثقيفي[1]

لقد بلغت زاوية الهامل شهرة واسعة وتوافد عليها طلاب العلم من كل أنحاء الوطن، وحققت نتائج ايجابية بالدور الذي اضطلع عليه رجالاتها وما قدموه من جهود علمية و تربوية خدمة للوطن، سواء أثناء الثورة التحريرية أو بعد الاستقلال، ولا يزال دورها فعالا في الحفاظ علي مقومات ووحدة الأمة الدينية و الوطنية.

كانت هذه الزوايا عبارة عن مجمعات من البيت والمنازل مختلفة الأشكال، تشمل علي بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم.

وتعتبر مركو الإشعاع العلمي ومنابع الهداية، وحصونا منيعة تحفظ هوية الأمة من جميع أشكال البدع والدمار[2]

كانت رسالتها منذ نشأتها حماية الأمة من كل الطمس، وذلك من خلال قراءة القرآن وتعليمه أين يحض معلمه ومتعلمة الخير الإرشاد وفقا للكتاب والسنة، والوقوف أمام الزحف التنصيري من خلال نشر تعاليم الإسلام وفض النزاعات القائمة بطرق ودية وفقا لأحكام الشريعة.

فيعض الزوايا تكون ميسورة الحال من الناحية المادية وذلك بغنى شيخها أو بكثرة الأوقاف والصدقات التي ترد عليها من الأتباع، ويقوم شيخ الزاوية نفسه بمهمة التعليم، فهو شيخ جليل، هدوء مظهره وصراحة رأيه وقوة إيمانه واعتزازا بوطنيته وعفة لسانه ويمتاز بالتواضع فهم الذين أسسوا هذه الزوايا، رجال دسن وهم متصوفون مزهدون، بدأت حركتهم تظهر في المشرق العربي منذ القرن 2 هـ.

[1] عبد الحميد حاجيات،"الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، مجلة الأصالة، عدد خاص، جويلية، أوت، 1975، ص 136، 155.
[2] أبو القاسم سعد الله،"المصدر السابق، ص 266.

لقد ظهرت الزوايا والكتاتيب نتيجة الجهل وانتشار ظاهرة الزهد، كما ظهرت الزوايا علي نطاق واسع في المدن والقرى، وخاصة في العهد العثماني، بناها بعض الفضلاء لإيواء الضيوف وقراءة القرآن وذكر الله سبحانه وتعالى، وأهم أعمال هذه الزوايا التربية التعليم زيادة علي أعمال الخيرية في المجتمع الجزائري حيث كانت تقوم بدور هام[1]

حافظت الزوايا خلال العهد الاستعماريعلي الهوية الوطنية من خلال مواجهتها للعدو الأجنبي في معارك طاحنة قدم فيها الشعب الجزائري النفس و النفيس، ومن خلال احتضانها للغة العربية ةالدين الإسلامي في المدارس والزوايا، فالتيجانية مثلا لها فروع في معظم بلدان القارة الإفريقي.

وما تجدر الإشارة إليه، فإن البعض من شيوخ هذه الولايا لهم نفوذ وتأثير كبير علي أتباعهم، كما أيضا لعبت الزوايا الدينية بمختلف أنواعها أدوارا كبيرة في الحياة الدينية و الاجتماعية، بل وحتى السياسية في الجزائر.

ولهذه الزوايا والكتاتيب المتنقلة وهي عبارة عن كتاب أو زاوية تحمل ألواح التلاميذ ووسائل تعليمهم، كانت ترافق القوافل السيارة والجيوش الفاتحين وهي أهم معالم مقومات الأمة.

حافظت علي ذاتها وتصدت إلى أعدائها وماتت هويتها من المسخ وعلى وجودها من الذوبان وعلي كيانها وبقيت متمسكة تمسكا ميزها عن غيرها وأمدها بعوامل القوة وأسباب البقاء وحماها من الاندثار، وكل من كان منتسب إليها راض بالقليل وببساطة الحياة وحريص علي حفظ القرآن الكريم.

كما اهتمت بتحفيظ القرآن ونشره بصورة مكثفة في الأجيال المتعاقبة، واحتضنت اللغة العربية ونشرها بشكل واسع وكثيف، وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة[2]

وقدمت العون والمساعدة الممكنة ماديا وثقافيا وساعدتهم علي شق طريق الحياة في المستقبل، فتخرج منها أجيال من المثقفين وارتبط البعض منهم بحركة النهضة الفكرية والأخلاقية

[1]– محمد بن ميمون الجزائري،"التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزاءر المحمية"، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1972، ص 59

[2]– جميلة معمري،"دور الزوايا في مقاومة الجهل والتبشير الديني"، مجلة الشهاب الجديد، العدد:03، السنة الثالثة، الجزائر، 2004، ص 281

في القرن التاسع عشر. لم تتخل عن دورها الوطني وقد اعترف بذلك الكثير من الضباط الفرنسيين بالدور الإيجابي للزوايا الذي جعل منها قلاعا للمقاومة.

فقد انتقمت فرنسا من الجزائريين شر انتقام بالقتل الجماعي والتخريب وحرق الأرزاق، فقد قامت بنفي أعيان وشيوخ الزوايا إلي كاليدونيا الجديدة بعد أن حكم عليهم بالسجن المؤبد.

كانت هذه الزوايا بمثابة مخازن ودواوين الكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون، تعرض جزء هام من هذا التراث إلي التلف والضياع خلال موحلة المقاومة.

كانت نسبة الأمية في وسط الشعب الجزائري يوم دخول الاستعمار إلي بلادنا سنة 1830م، تقدر بنسبة 05 % و هناك 95 % من الشعب الجزائري يعرف القراءة والكتابة وهذه الحقائق التاريخية موجودة في الكتب التي تتحدث عن التعليم في الجزائر قبل الاحتلال، فكان شيخ الزاوية وأعوانه، يمثل القطب الروحي في المنظومة التربوية، فهو الأب للتلميذ والمرشد والمربي ورجل العلم الذي تشد إليه الأبصار وتصغي إليه الأسماع والمعلم عند البدو وعند عموم الشعب الجزائري، أرقع منزلة، فهو يمثل كامل وجميع الأوصاف فهما وعلما فهو الرجل المفضل المطاع ومحل احترام وتقدير من طرف الجميع.

فهو المرجع في كل الملمات والمنازعات فهو يفتي ويصلح الخصومات ويعقد قران الزواج، وهو أحد أيضا الوجهاء ويدعى في ولائم الأفراح والمناسبات، وهو إمام الصلوات الخمس والتراويح في أيام رمضان خاصة ومعلم الصبيان والفقيه والقاضي أدى كل دوره لمصلح لأداء رسالته الديني[1]

استطاعت هذه المؤسسة أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد وعمل رجالها علي إرجاع الضالين إلى سواء السبيل وتعليم الناشئين وبث العلم في صدور الرجال ولو تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي تقف أمامها موقف المعترف المعجب في بلادنا أثرا للغة العربية ولا لعلوم الدين وهؤلاء المجاهدين الأفذاذ كانوا علي الطريق وجها لوجه مع الثائرين الأولين بالروح الإيمانية التي طبقت حياة رمز الثورة ولكن النفوس الكبيرة التي تؤمن بالله إيمانا عميقا، وتناضل من أجل تحرير الوطن،

[1]– أحمد الخطيب،"جمعية العلماء المسلمين وأثرها الاصلاحي في الجزائر"، م، و، ك، الجزائر، 1985، ص 64

فهؤلاء هم الذين ارتقوا إلي المستوى فوق الخوف والموت فوق الشك والتردد، وتعمقوا في فهم الحياة وأدركوا قيمة الكرامة ومثلوا الجزائر في أصالته وعظمة أمجادها.

- **السياسة الفرنسية في الجزائر :**

بعد سقوط الجزائر في يد الاستعمار سنة 1830، أعلن قادتهم سبب مجيئهم إلي الجزائر الدي يهدف إلي حماية الممتلكات الجزائرية من أوقاف ومساجد ومدارس، وأن التعهد الذي قامت به يتعلق بحرية الأشخاص ومعتقداتهم تادينية، لكنها تنكرت لذلك عن طريق سياستها المتمثلة في تثبيت الديانة المسيحية وإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، وقد تجلت هذه السياسة منذ الأيام الأولى من الاحتلال، وبذلك أن فرنسا تريد أن تفرض اللغة الفرنسية لغة رسمية، أما اللغة العربية فهي أجنبية وبالتالي تثبيت الثقافة الجديدة التي تهدف إلي إخراج المجتمع الجزائري من التخلف إلي مبادئ الحضارة وهي مبادئ الدولة الفرنسية[1].

- **المدارس العربية الفرنسية:**

بعد سلسلة المقاومات التي قادها الجزائريون، والتي دامت أكثر من 15 عاما، ونقصد بها مقاومة الأمير عبد القادر (1848-1852)، وبسط الاستعمار الفرنسي نفوذه في الجزائر فقد فكر في تنظيم التعليم الفرنسي للأهالي، وبذلك صرح وزير الحربية الجنيرال "شرام" من باريس يوم : 06-08-52 "ان الظروف الحالية، وبعد حرب دامت 17 سنة، فانه يتعين علي فرنسا القيام برسالتها الحضارية وإرساء قواعد التعليم الفرنسي في الجزائر"[2].

و بذلك أنشئت هذه المدارس العربية الفرنسية في المناطق المهمة بالسكان، وهي مدارس ابتدائية تكون تحت الرقابة الفرنسية، ويدرسون فيها الحساب والتاريخ والجغرافية والرسم وفرق خاصة بالموسيقى للأغاني الوطنية، ولم تقتصر علي الذكور فقط بل أيضا الفتيات المسلمات لتعليم الخياطة والقراءة والكتابة وكان الغرض من تأسيسها ذو طابع سياسي أكثر منه تعليمي[3].

[1]- رابح تركي،"التعليم القومي والشخصية الوطنية"، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981، ص 108.

[2]- عمار هلال،"أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1962)، د، م، ج، الجزائر، 1995، ص. 112.

[3]- عبد القادر حلوش، "سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر"،دار الأمة ط1، الجزائر، 1999، ص. 54.

إلا أن المدارس شهدت نفور الأهالي منها، ومن هنا بدأت تعيش مرحلة الزوال، والعامل الأخر هو رفض الجزائريين الالتحاق بهذا النوع من المدارس لأنه يوفر علي تعليما ضعيفا عما هو موجود في الزوايا والمساجد وخوفا من تأثيرها علي شخصيتهم، وأمام هذه الوضعية السيئة وهجرة التلاميذ من المدارس العربية، لم تجد فرنسا سوى إصدار قانون سنة 1859 والذي يقضي بتحديد الكتاتيب والزوايا بقرارات ولائية وبهذا بقي التعليم محتكرا في يد الطبقة الحاكمة محولة القضاء علي التعليم.

ولهذا بدأت فرنسا الانتقام من الجزائريين شر انتقام بالقتل الجماعي والتخريب وحرق الأرزاق، فقد قامت بنفي أعيان وشيوخ الزوايا إلي كاليدونيا الجديدة بعد أن حكم بالسجن المؤبد.

ولم تكتف السلطات الفرنسية في إعلانها الحرب علي اللغة العربية، بل تعدت من حرب المدارس إلي غاية القضاء والمعاهد والمكاتيب التي كانت منتشرة في كل التراب الوطني، حيث قال "ايميريت" كان العربي قبل 1830 يعرف الكتابة والقراءة، ولكنه أصبح يتخبط في ظلمات الجهل عندما مضى نصف قرن من الاحتلال[1].

كما انتهجت فرنسا أساليب مختلفة للقضاء علي اللغة العربية تدريجيا، حيث لا تقبل أي وثيقة أو عقد خارج اللغة الفرنسية، كما رفضت السماح للأهالي بتأسيس المدارس والمعاهد لتدريس اللغة العربية ولو بأموال خاصة كما اشترطت الحصول علي تراخيص...

ولقد اعتبر الفرنسيون سقوط الجزائر إحدى قلاع الإسلام، لذلك يقول أبو القاسم سعد الله:"أن الاستهتار بالجزائريين بلغ إلي حد الاحتفال يوم: 11-07-1830 في الساحة الرئيسية للقصبة وقد حضره كبار الضباط والجنود بقيادة "دي بورمون"، بعدما رتلوا آيات الإنجيل بمناسبة نجاح الغزو"[2].

وبذلك بدأت الانطلاقة الحقيقية للسياسة الفرنسية في الجزائر اتجاه الإسلام المسلمين وقد تأكدت أن القران الكريم هو المحرك الحقيقي للشعب، وسيبقى دائما سدا منيعا في وجههم، فالمدن الجزائرية كانت تعج بالمساجد ولزوايا، لذلك كان تركيزهم في البداية علي مصادرة المساجد

[1]- مصطفى الأشرف، "الجزائر الأمة والمجتمع" تحقيق، حنفي بن عيسى، م، و، ك، الجزائر، 1983، ص.429.

[2]- أبو القاسم سعد الله،"الحركة الوطنية (1830-1900)، ج1، دار الاسلامي، بيروت، 2005، ص. 79.

ومدارسها ظنا منهم أنها ستقضي علي الدين الإسلامي وبذلك تتمكن من الأهالي، حيث قامت بغلق 13 مسجدا منبرا و 140 مسجدا صغيرا و 12 زاوية بالجزائر العاصمة وحدها حيث لم يبقى سوى 4 مساجد كبيرة و17 مسجدا صغيرا، ما إن حلت سنة 1862 ومن بين المساجد التي مسها الدمار نجد مثلا: كتشاوة– علي بابتشين– وفي معسكر نجد مسجد عين البيضاء...[1].

وقد استمر الاستعمار في الاعتداء علي الممتلكات المسلمين ومؤسساته الدينية، وتوصلات الحملات العدائية ضد الشعب الجزائري وحول العديد من المساجد إلى كنائس ومستشفيات ومستودعات[2].

لم تقتصر اعتداءات الاحتلال الفرنسي للجزائر علي الجوانب السياسية العسكرية والاقتصادية فحسب عمد إلي تدمير معالم الثقافة والفكر فيها، وقد ظهر حقده الصليبي في إصراره علي تحطيم مقومات الأمة، في مقدماتها الدين الإسلامي واللغة العربية، معتمدا في ذلك علي الأوقاف والصوم والرموز الدين لأن التعليم في الجزائر يعتمد اعتمادا كبيرا علي مردود الإسلامية في تأدية رسالته، وكانت هذه الأملاك قد وقفها أصحابها للخدمات الخيرية، وخاصة المشاريع التربوية كالمدارس والمساجد والزوايا. وكان الاستعمار يدرك بأن التعليم ليس أداة تجديد خلقي فحسب بل هو أداة سلطة وسلطان ووسيلة نفوذ وسيطرة، وأنه لا بقاء له ألا بالسيطرة عليه، فوضع يده علي الأوقاف، قاطعا بذلك شرايين الحياة الثقافية. ضم أملاك الدولة سائر العقارات التي كانت من أملاك الأوقاف، واستولينا علي أملاك طبقة من السكان، كنا تعهدنا برعايتها وحمايتها...لقد انتهكنا حرمات المعاهد الدينية ونبشنا القبور، واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين[3].

ولقد فكرت الإدارة الفرنسية في هذه الطريقة وذلك اضرب عروبة الجزائر وإسلاميتها، وقطع العلاقة ومنعت تاريخ الجزائر الوطني وراقبت الكتب وشددت في منع الكثير منهم من أداء واجبهم الثقافي وسجنهم ونفيهم إلي جهات مختلفة.

---

[1]– الو اعر صبرينة،"محمد بن رحال ودوره السياسي والثقافي(1856–1928) مخطوط رسالة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنكينة، 2002–2003، ص. 30.

[2]– أبو القاسم سعد الله،"أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، ج5 (1830–1900)، م، و، ك، الجزائر، 1984، ص. 112.

[3]– الو اعر صبرينة، المصدر نفسه، ص 31

يمكن تقسيم الفترة الممتدة من دخول الاستعمار إلي ظهور دعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلي:

- **المرحلة الأولى (1830-1900م):**

لم تقتصر اعتداءات الاحتلال الفرنسي للجزائر علي الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب، بل عمد إلي تدمير معالم الثقافة والفكر فيها، وقد ظهر حفيد الصليبي في إصراره علي تحطيم مقومات الأمة وفي مقدمتها الدين الإسلامي واللغة العربية، معتمدا في ذلك علي ما يلي:

1. مصادرة الأوقاف الإسلامية:

كان التعليم في الجوائر يعتمد اعتمادا كبيرا علي مردود الأوقاف الإسلامية في تأدية رسالة، وكانت الأملاك قد وقفها أصحابها للخدمات الخيرية، وخاصة المشاريع التربوية كالمدارس والمساجد والزوايا. وكان الاستعمار يدرك بأن التعليم ليس أداة تجديد خلقي فحسب، بل هو أداة سلطة وسلطان ووسيلة نفوذ وسيطرة، وأنه لا بقاء له إلا بالسيطرة عليه، فوضع يده علي الأوقاف، قاطعا بذلك شرايين الحياة الثقافية. جاء في تقرير اللجنة الاستطلاعية التي بعث بها ملك فرنسا إلي الجزائر يوم 1833/7/7م ما يلي: ضممنا إلي أملاك الدولة سائر العقارات التي كانت من أملاك الأوقاف، واستولينا علي أملاك طبقة من السكان[1].

تعهدنا برعايتها وحمايتها...لقد انتهكنا حرمات المعاهد الدينية ونبشنا القبور، واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين.

2. التضييق علي التعليم العربي:

أدرك المستعمر منذ وطئت أقدامه أرض الجزائر، خطورة الرسالة التي تؤديها المساجد والكتاتيب والزوايا في المحافظة علي شخصية الأمة.

فلم تكن هذه المراكز قاصرة علي أداء الشعائر التعبدية فحسب، بل كانت أيضا محاضر للتربية والتعليم وإعداد الرجال الصالحين المصلحين، لذلك صبت فرنسا غضبها بشدة، فعمدت إلي إخماد جذوة العلوم والمعارف تحت أنقاض المساجد والكتاتيب والزوايا، التي دمرت فلم تبق منها

[1]- الو اعر صبرينة،"محمد بن رحال ودوره السياسي والثقافي (1856-1928) والمعاصرة،ص 31.

سوى جمرات ضئيلة في بعض الكتاتيب، دفعتها العقيدة الدينية، فحافظت علي لغة القرآن ومبادئ الدين الحنيف في تعليم بسيط وأساليب بدائية.

إن هذه الحرب الشعراء التي شنها الاستعمار علي الدين الإسلامي واللغة العربية، جعلت التعليم في الجزائر يصل إلي أدنى مستوى له، فحتى سنة 1901 أي بعد حوالي 70 سنة من الاحتلال، كانت نسبة المتعلمين من الأهالي لا تتعدى 3.8 %، فكانت الجزائر أن تتجه نحو فرنسة والتغريب أكثر من اتجاهها أي نحو العروبة والإسلام[1].

وقد تأثرت الحياة الفكرية والدينية في هذه الفترة للعض العوامل الأخرى، نذكر منها مايلي:

أ- **الطرق الصوفية:**

من الإنصاف أن نذكر هنا الدور الإيجابي الذي قامت به بعض الطرق الصوفية منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، قفد ساهمت بعض زواياها في نشر الثقافة العربية الإسلامية، كما قام كثير من رجالاتها بالتصدي للاستعمار والاستبسال في محاربته.

فقد كان الأمير عبد القادر الجزائري راسخ القدم في التصوف، وكان الشيخ الحداد، أحد قادة ثورة القبائل الكبرى عام 1871م قد انتهت إليه مشيخة الطريقة الرحمانية في وقته، إلا أن كثيرا من الطرق قد انحرفت في مايعد عن الخط العام الذي رسمه مؤسسوها الأوائل، فكثرت عندها البدع والضلالات والخرافات، وكذا تقديس القبور والطواف حولها، والنذر لها، والذبح عندها، وغير ذلك من أعمال الجاهلية الأولى، كما أنه كانت لبعض رجالاتها مواقف متخاذلة تجاه الاستعمار، حيث سيطرت هذه الطرق علي عقول أتباعها وكذلك مريديها، ونشرت بينهم التواكل والكسل، وثبطت هممهم في الاستعداد للكفاح من أجل طرد المحتل الغاشم والغاصب، بدعوى أن وجود الاحتلال في الجزائر هو من باب القضاء والقدر، الذي ينبغي التسليم به مع الصبر عليه، وأن طاعته هي طاعة لولي الأمر.

[1]- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة،(1870-1900)، د، م، ج، الجزائر، 1984، ص. 114.

بهذه الروح المتخالطة والتفكير المنحرف، كانت بعض الطرق سببا في إطالة ليل الاستعمار المظلم في البلاد من جهة، وتفرق صفوف الأمة وضلالها في الدين والدنيا من جهة أخرى[1]

ب- انتشار الجهل الأمية:

ت- المدارس البديلة التي أنشأها الاستعمار:

ث- هجر الأهالي للمدارس الفرنسية:

- **المرحلة الثانية (1900-1914م):**

كما كانت الزوايا في القطر الجزائري منها في ميزاب وجبال جرجرة والجامع الكبير بتلمسان وزاوية الأمير عبد القادر وملیانة وزاوية بني سليمان، وجامع سيدي لخضر بقسنطينة وزاوية سيدي عقبة ببسكرة فقد تزعمت في بداية الاحتلال المقاومة باسم الجهاد، فلما أدرك الاستعمار قوة تأثيرها في النفوس سعى إلي تحديدها أو ترويض شيخوختها بشيء من الوسائل إلي أن تمكن من صرف بعضها عن دورها الروحي والتثقيفي[2]

لقد بلغت زاوية الهامل شهرة واسعة وتوافد عليها طلاب العلم من كل أنحاء الوطن، وحققت نتائج ايجابية بالدور الذي اضطلع عليه رجالاتها وما قدموه من جهود علمية و تربوية خدمة للوطن، سواء أثناء الثورة التحريرية أو بعد الاستقلال، ولا يزال دورها فعالا في الحفاظ علي مقومات ووحدة الأمة الدينية و الوطنية.

كانت هذه الزوايا عبارة عن مجمعات من البيت والمنازل مختلفة الأشكال، تشمل علي بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم.

وتعتبر مركو الإشعاع العلمي ومنابع الهداية، وحصونا منيعة تحفظ هوية الأمة من جميع أشكال البدع و الدمار[3]

---

[1]- يحي بوعزيز،"أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، مجلة الثقافة، العدد: 63، الجزائر، 1981، ص.16،. 17

[2]- عبد الحميد حاجيات،"الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، مجلة الأصالة، عدد خاص، جويلية، أوت، 1975، ص. 136، 155.

[3]- أبو القاسم سعد الله،"المصدرالسابق، ص 266

كانت رسالتها منذ نشأتها حماية الأمة من كل الطمس، وذلك من خلال قراءة القرآن وتعليمه أين يحض معلمه ومتعلمه الخير الإرشاد وفقا للكتاب والسنة، والوقوف أمام الزحف التنصيري من خلال نشر تعاليم الإسلام وفض النزاعات القائمة بطرق ودية وفقا لأحكام الشريعة.

فيعض الزوايا تكون ميسورة الحال من الناحية المادية وذلك بغنى شيخها أو بكثرة الأوقاف والصدقات التي ترد عليها من الأتباع، ويقوم شيخ الزاوية نفسه بمهمة التعليم، فهو شيخ جليل، هدوء مظهره وصراحة رأيه وقوة إيمانه واعتزازا بوطنيته وعفة لسانه ويمتاز بالتواضع فهم الذين أسسوا هذه الزوايا، رجال دسن وهم متصوفون مزهدون، بدأت حركتهم تظهر في المشرق العربي منذ القرن 2 هـ.

لقد ظهرت الزوايا والكتاتيب نتيجة الجهل وانتشار ظاهرة الزهد، كما ظهرت الزوايا علي نطاق واسع في المدن والقرى، وخاصة في العهد العثماني، بناها بعض الفضلاء لإيواء الضيوف وقراءة القرآن وذكر الله سبحانه وتعالى، وأهم أعمال هذه الزوايا التربية ةالتعليم زيادة علي أعمال الخيرية في المجتمع الجزائري حيث كانت تقوم بدور هام[1]

حافظت الزوايا خلال العهد الاستعماريعلي الهوية الوطنية من خلال مواجهتها للعدو الأجنبي في معارك طاحنة قدم فيها الشعب الجزائري النفس و النفيس، ومن خلال احتضانها للغة العربية الدين الإسلامي في المدارس والزوايا، فالتيجانية مثلا لها فروع في معظم بلدان القارة الإفريقي.

وما تجدر الإشارة إليه، فإن البعض من شيوخ هذه الزوايا لهم نفوذ وتأثير كبير علي أتباعهم، كما أيضا لعبت الزوايا الدينية بمختلف أنواعها أدوارا كبيرة في الحياة الدينية و الاجتماعية، بل وحتى السياسية في الجزائر.

ولهذه الزوايا والكتاتيب المتنقلة وهي عبارة عن كتاب أو زاوية تحمل ألواح التلاميذ ووسائل تعليمهم، كانت ترافق القوافل السيارة والجيوش الفاتحين وهي أهم معالم مقومات الأمة.

حافظت علي ذاتها وتصدت إلى أعدائها وماتت هويتها من المسخ وعلى وجودها من الذوبان وعلي كيانها وبقيت متمسكة تمسكا ميزها عن غيرها وأمدها بعوامل القوة وأسباب البقاء وحماها من

[1]–محمد بن ميمون الجزائري،"التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1972، ص 59.

الاندثار، وكل من كان منتسب إليها راض بالقليل وببساطة الحياة وحريص علي حفظ القرآن الكريم.

كما اهتمت بتحفيظ القرآن ونشره بصورة مكثفة في الأجيال المتعاقبة، واحتضنت اللغة العربية ونشرها بشكل واسع وكثيف، وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة[1]

وقدمت العون والمساعدة الممكنة ماديا وثقافيا وساعدتهم علي شق طريق الحياة في المستقبل، فتخرج منها أجيال من المثقفين وارتبط البعض منهم بحركة النهضة الفكرية والأخلاقية في القرن التاسع عشر. لم تتخل عن دورها الوطني وقد اعترف بذلك الكثير من الضباط الفرنسيين بالدور الإيجابي للزوايا الذي جعل منها قلاعا للمقاومة.

فقد انتقمت فرنسا من الجزائريين شر انتقام بالقتل الجماعي والتخريب وحرق الأرزاق، فقد قامت بنفي أعيان وشيوخ الزوايا إلي كاليدونيا الجديدة بعد أن حكم عليهم بالسجن المؤبد.

كانت هذه الزوايا بمثابة مخازن ودواوين الكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون، تعرض جزء هام من هذا التراث إلي التلف والضياع خلال موحلة المقاومة.

كانت نسبة الأمية في وسط الشعب الجزائري يوم دخول الاستعمار إلي بلادنا سنة 1830م، تقدر بنسبة ّ05 % و هناك 95 % من الشعب الجزائري يعرف القراءة والكتابة وهذه الحقائق التاريخية موجودة في الكتب التي تتحدث عن التعليم في الجزائر قبل الاحتلال، فكان شيخ الزاوية وأعوانه، يمثل القطب الروحي في المنظومة التربوية، فهو الأب للتلميذ والمرشد والمربي ورجل العلم الذي تشد إليه الأبصار وتصغي إليه الأسماع والمعلم عند البدو وعند عموم الشعب الجزائري، أرقع منزلة، فهو يمثل كامل وجميع الأوصاف فهما وعلما فهو الرجل المفضل المطاع ومحل احترام وتقدير من طرف الجميع.

فهو المرجع في كل الملمات والمنازعات فهو يفتي ويصلح الخصومات ويعقد قران الزواج، وهو أحد أيضا الوجهاء ويدعى في ولائم الأفراح والمناسبات، وهو إمام الصلوات الخمس والتراويح

[1]– جميلة معمري،"دور الزوايا في مقاومة الجهل والتبشير الديني"، مجلة الشهاب الجديد، العدد:03، السنة الثالثة، الجزائر، 2004، ص 281

في أيام رمضان خاصة ومعلم الصبيان والفقيه والقاضي أدى كل دوره لمصلح لأداء رسالته الديني[1]

استطاعت هذه المؤسسة أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد وعمل رجالها علي إرجاع الضالين إاي سواء السبيل وتعليم الناشئين وبث العلم في صدور الرجال ولو تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي تقف أمامها موقف المعترف المعجب في بلادنا أثرا للغة العربية ولا لعلوم الدين وهؤلاء المجاهدين الأفذاذ كانوا علي الطريق وجها لوجه مع الثائرين الأولين بالروح الإيمانية التي طبقت حياة رمز الثورة ولكن النفوس الكبيرة التي تؤمن بالله إيمانا عميقا، وتناضل من أجل تحرير الوطن، فهؤلاء هم الذين ارتقوا إلي المستوى فوق الخوف والموت فوق الشك والتردد، وتعمقوا في فهم الحياة وأدركوا قيمة الكرامة ومثلوا الجزائر في أصالته وعظمة أمجادها.

- **السياسة الفرنسية في الجزائر :**

بعد سقوط الجزائر في يد الاستعمار سنة 1830، أعلن قادتهم سبب مجيئهم إلي الجزائر الدي يهدف إلي حماية الممتلكات الجزائرية من أوقاف ومساجد ومدارس، وأن التعهد الذي قامت به يتعلق بحرية الأشخاص ومعتقداتهم تادينية، لكنها تنكرت لذلك عن طريق سياستها المتمثلة في تثبيت الديانة المسيحية وإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، وقد تجلت هذه السياسة منذ الأيام الأولى من الاحتلال، وبذلك أن فرنسا تريد أن تفرض اللغة الفرنسية لغة رسمية، أما اللغة العربية فهي أجنبية وبالتالي تثبيت الثقافة الجديدة التي تهدف إلي إخراج المجتمع الجزائري من التخلف إلي مبادئ الحضارة وهي مبادئ الدولة الفرنسية[2].

- **المدارس العربية الفرنسية:**

بعد سلسلة المقاومات التي قادها الجزائريون، والتي دامت أكثر من 15 عاما، ونقصد بها مقاومة الأمير عبد القادر (1848–1852)، وبسط الاستعمار الفرنسي نفوذه في الجزائر فقد فكر في تنظيم التعليم الفرنسي للأهالي، وبذلك صرح وزير الحربية الجنيرال "شرام" من باريس يوم :

[1]– أحمد الخطيب،"جمعية العلماء المسلمين وأثرها الاصلاحي في الجزائر"، م، و، ك، الجزائر، 1985، ص 64

[2]– رابح تركي،"التعليم القومي والشخصية الوطنية"، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981، ص 108.

06-08-52 "ان الظروف الحالية، وبعد حرب دامت 17 سنة، فانه يتعين علي فرنسا القيام برسالتها الحضارية ورساء قواعد التعليم الفرنسي في الجزائر"[1].

وبذلك أنشئت هذه المدارس العربية الفرنسية في المناطق المهمة بالسكان، وهي مدارس ابتدائية تكون تحت الرقابة الفرنسية، ويدرسون فيها الحساب والتاريخ والجغرافية والرسم وفرق خاصة بالموسيقى للأغاني الوطنية، ولم تقتصر علي الذكور فقط بل أيضا الفتيات المسلمات لتعليم الخياطة والقراءة والكتابة وكان الغرض من تأسيسها ذو طابع سياسي أكثر منه تعليمي[2].

إلا أن المدارس شهدت نفور الأهالي منها، ومن هنا بدأت تعيش مرحلة الزوال، والعامل الأخر هو رفض الجزائريين الالتحاق بهذا النوع من المدارس لأنه يوفر علي تعليما ضعيفا عما هو موجود في الزوايا والمساجد وخوفا من تأثيرها علي شخصيتهم، وأمام هذه الوضعية السيئة وهجرة التلاميذ من المدارس العربية، لم تجد فرنسا سوى إصدار قانون سنة 1859 والذي يقضي بتحديد الكتاتيب والزوايا بقرارات ولائية وبهذا بقي التعليم محتكرا في يد الطبقة الحاكمة محولة القضاء علي التعليم.

ولهذا بدأت فرنسا الانتقام من الجزائريين شر انتقام بالقتل الجماعي والتخريب وحرق الأرزاق، فقد قامت بنفي أعيان وشيوخ الزوايا إلي كاليدونيا الجديدة بعد أن حكم بالسجن المؤبد.

ولم تكتف السلطات الفرنسية في اعلانها الحرب علي اللغة العربية، بل تعدت من حرب المدارس إلي غاية القضاء والمعاهد والمكاتيب التي كانت منتشرة في كل التراب الوطني، حيث قال "ايميريت" كان العربي قبل 1830 يعرف الكتابة والقراءة، ولكنه أصبح يتخبط في ظلمات الجهل عندما مضى نصف قرن من الاحتلال[3].

كما انتهجت فرنسا أساليب مختلفة للقضاء علي اللغة العربية تدريجيا، حيث لا تقبل أي وثيقة أو عقد خارج اللغة الفرنسية، كما رفضت السماح للأهالي بتأسيس المدارس والمعاهد لتدريس اللغة العربية ولو بأموال خاصة كما اشترطت الحصول علي تراخيص...

---

[1]- عمار هلال،"أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1962)، د، م، ج، الجزائر، 1995، ص.112.

[2]- عبد القادر حلوش، "سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر"،دار الأمة ط1، الجزائر، 1999، ص 54.

[3]- مصطفى الأشرف، "الجزائر الأمة والمجتمع" تحقيق، حنفي بن عيسى، م، و، ك، الجزائر، 1983، ص 429.

ولقد اعتبر الفرنسيون سقوط الجزائر إحدى قلاع الإسلام، لذلك يقول أبو القاسم سعد الله:"أن الاستهتار بالجزائريين بلغ إلي حد الاحتفال يوم: 11-07-1830 في الساحة الرئيسية للقصبة وقد حضره كبار الضباط والجنود بقيادة "دي بورمون"، بعدما رتلوا آيات الإنجيل بمناسبة نجاح الغزو"[1].

وبذلك بدأت الانطلاقة الحقيقية للسياسة الفرنسية في الجزائر اتجاه الإسلام المسلمين وقد تأكدت أن القران الكريم هو المحرك الحقيقي للشعب، وسيبقى دائما سدا منيعا في وجههم، فالمدن الجزائرية كانت تعج بالمساجد ولزوايا، لذلك كان تركيزهم في البداية علي مصادرة المساجد ومدارسها ظنا منهم أنها ستقضي علي الدين الإسلامي وبذلك تتمكن من الأهالي، حيث قامت بغلق 13 مسجدا مبيرا و 140 مسجدا صغيرا و 12 زاوية بالجزائر العاصمة وحدها حيث لم يبقى سوى 4 مساجد كبيرة و17 مسجدا صغيرا، ما إن حلت سنة 1862 ومن بين المساجد التي مسها الدمار نجد مثلا: كتشاوة- علي بابتشين- وفي معسكر نجد مسجد عين البيضاء...[2].

وقد استمر الاستعمار في الاعتداء علي الممتلكات المسلمين ومؤسساته الدينية، وتوصيلات الحملات العدائية ضد الشعب الجزائري وحول العديد من المساجد الي كنائس ومستشفيات ومستودعات[3].

لم تقتصر اعتداءات الاحتلال الفرنسي للجزائر علي الجوانب السياسية العسكرية والاقتصادية فحسب عمد إلي تدمير معالم الثقافة والفكر فيها، وقد ظهر حقده الصليبي في إصراره علي تحطيم مقومات الأمة، في مقدماتها الدين الإسلامي واللغة العربية، معتمدا في ذلك علي الأوقاف والصوم والرموز الدين لأن التعليم في الجزائر يعتمد اعتمادا كبيرا علي مردود الإسلامية في تأدية رسالته، وكانت هذه الأملاك قد وقفها أصحابها للخدمات الخيرية، وخاصة المشاريع التربوية كالمدارس والمساجد والزوايا. وكان الاستعمار يدرك بأن التعليم ليس أداة تجديد خلقي فحسب بل هو أداة سلطة وسلطان ووسيلة نفوذ وسيطرة، وأنه لا بقاء له ألا بالسيطرة عليه، فوضع يده علي الأوقاف،

---

[1]- أبو القاسم سعد الله،"الحركة الوطنية (1830-1900)، ج1، دار الاسلامي، بيروت، 2005، ص 79.

[2]- الو اعر صبرينة،"محمد بن رحال ودوره السياسي والثقافي(1856-1928) مخطوط رسالة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2002-2003، ص 30.

[3]- أبو القاسم سعد الله،"أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، ج5 (1830-1900)، م، و، ك، الجزائر، 1984، ص 112.

قاطعا بذلك شرايين الحياة الثقافية. ضم أملاك الدولة سائر العقارات التي كانت من أملاك الأوقاف، واستولينا علي أملاك طبقة من السكان، كنا تعهدنا برعايتها وحمايتها...لقد انتهكنا حرمات المعاهد الدينية ونبشنا القبور، واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين[1].

ولقد فكرت الإدارة الفرنسية في هذه الطريقة وذلك اضرب عروبة الجزائر وإسلاميتها، وقطع العلاقة ومنعت تاريخ الجزائر الوطني وراقبت الكتب وشددت في منع الكثير منهم من أداء واجبهم الثقافي وسجنهم ونفيهم إلي جهات مختلفة.

يمكن تقسيم الفترة الممتدة من دخول الاستعمار إلي ظهور دعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلي:

- **المرحلة الأولى (1830-1900م):**

لم تقتصر اعتداءات الاحتلال الفرنسي للجزائر علي الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب، بل عمد إلي تدمير معالم الثقافة والفكر فيها، وقد ظهر حفيد الصليبي في إصراره علي تحطيم مقومات الأمة وفي مقدمتها الدين الإسلامي واللغة العربية، معتمدا في ذلك علي ما يلي:

1-مصادرة الأوقاف الإسلامية:

كان التعليم في الجوائر يعتمد اعتمادا كبيرا علي مردود الأوقاف الإسلامية في تأدية رسالة، وكانت الأملاك قد وقفها أصحابها للخدمات الخيرية، وخاصة المشاريع التربوية كالمدارس والمساجد والزوايا. وكان الاستعمار يدرك بأن التعليم ليس أداة تجديد خلقي فحسب، بل هو أداة سلطة وسلطان ووسيلة نفوذ وسيطرة، وأنه لا بقاء له إلا بالسيطرة عليه، فوضع يده علي الأوقاف، قاطعا بذلك شرايين الحياة الثقافية. جاء في تقرير اللجنة الاستطلاعية التي بعث بها ملك فرنسا إلي الجزائر يوم 1833/7/7م ما يلي: ضممنا إلي أملاك الدولة سائر العقارات التي كانت من أملاك الأوقاف، واستولينا علي أملاك طبقة من السكان[2].

[1]- الو اعر صبرينة، المصدر نفسه، ص 31.

[2]- الو اعر صبرينة،"محمد بن رحال ودوره السياسي والثقافي (1856-1928) والمعاصرة،ص 31.

تعهدنا برعايتها وحمايتها...لقد انتهكنا حرمات المعاهد الدينية ونبشنا القبور، واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين.

2-<u>التضييق على التعليم العربي:</u>

أدرك المستعمر منذ وطئت أقدامه أرض الجزائر، خطورة الرسالة التي تؤديها المساجد والكتاتيب والزوايا في المحافظة على شخصية الأمة.

فلم تكن هذه المراكز قاصرة على أداء الشعائر التعبدية فحسب، بل كانت أيضا محاضر للتربية والتعليم وإعداد الرجال الصالحين المصلحين، لذلك صبت فرنسا غضبها بشدة، فعمدت إلي إخماد جذوة العلوم والمعارف تحت أنقاض المساجد والكتاتيب والزوايا، التي دمرت فلم تبق منها سوى جمرات ضئيلة في بعض الكتاتيب، دفعتها العقيدة الدينية، فحافظت علي لغة القرآن ومبادئ الدين الحنيف في تعليم بسيط وأساليب بدائية.

إن هذه الحرب الشعواء التي شنها الاستعمارعلي الدين الإسلامي واللغة العربية، جعلت التعليم في الجزائر يصل إلي أدنى مستوى له، فحتى سنة 1901 أي بعد حوالي 70 سنة من الاحتلال، كانت نسبة المتعلمين من الأهالي لا تتعدى 3.8 %، فكانت الجزائر أن تتجه نحو فرنسة والتغريب أكثر من اتجاهها أي نحو العروبة والإسلام[1].

وقد تأثرت الحياة الفكرية والدينية في هذه الفترة للعض العوامل الأخرى، نذكر منها مايلي:

أ- <u>الطرق الصوفية:</u>

من الإنصاف أن نذكر هنا الدور الإيجابي الذي قامت به بعض الطرق الصوفية منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد ساهمت بعض زواياها في نشر الثقافة العربية الإسلامية، كما قام كثير من رجالاتها بالتصدي للاستعمار والاستبسال في محاربته.

فقد كان الأمير عبد القادر الجزائري راسخ القدم في التصوف، وكان الشيخ الحداد، أحد قادة ثورة القبائل الكبرى عام 1871م قد انتهت إليه مشيخة الطريقة الرحمانية في وقته، إلا أن كثيرا من الطرق قد انحرفت في ما يعد عن الخط العام الذي رسمه مؤسسوها الأوائل، فكثرت عندها البدع والضلالات والخرافات، وكذا تقديس القبور والطواف حولها، والنذر لها، والذبح عندها، وغير ذلك

[1]- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، (1870-1900)، د، م، ج، الجزائر، 1984، ص 114.

من أعمال الجاهلية الأولى، كما أنه كانت لبعض رجالاتها مواقف متخاذلة تجاه الاستعمار، حيث سيطرت هذه الطرق علي عقول أتباعها وكذلك مريديها، ونشرت بينهم التواكل والكسل، وثبطت هممهم في الاستعداد للكفاح من أجل طرد المحتل الغاشم والغاصب، بدعوى أن وجود الاحتلال في الجزائر هو من باب القضاء والقدر، الذي ينبغي التسليم به مع الصبر عليه، وأن طاعته هي طاعة لولي الأمر.

بهذه الروح المتخاذلة والتفكير المنحرف، كانت بعض الطرق سببا في إطالة ليل الاستعمار المظلم في البلاد من جهة، وتفرق صفوف الأمة وضلالها في الدين والدنيا من جهة أخرى[1]

ب- <u>انتشار الجهل والأمية:</u>

لقد أدت الثورات المتتالية التي خاضها الشعب ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم، إلي فقدان الأمة لزهرة علمائها في ميدان الجهاد.

كما أن كثيرا من المستنيرين من حملة الثقافة العربية الإسلامية هاجروا إلي المشرق العربي، وإلى البلاد الإسلامية الأخرى، يتحينون الفرص للرجوع إلى الوطن وتطهيره من سيطرة الفرنسيين، كل ذلك ساهم في انتشار الجهل وتفشي الأمية بين أفراد الأمة، مما أثر سلبيا على الحياة الفكرية في تلك الفترة.

ت- <u>المدارس البديلة التي أنشأها الاستعمار:</u>

لم تفتح هذه المدارس في حقيقة الأمر من أجل تعليم أبناء الجزائر، ورفع مستواهم الثقافي، بل كان الاستعمار يقصد من وراء ذلك عدة أمور، منها:

- قتل الروح الوطنية التي أدت إلى اشتغال الثورات المتوالية، وجعل الشعب أكثر خضوعا للاحتلال.
- إيجاد قلة متعلمة للاستفادة منها في بعض الوظائف التي تخدم الاحتلال.

[1]- يحي بوعزيز "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، مجلة الثقافة، العدد: 63، الجزائر، 1981، ص 16، 17

ولم تكن هناك مدارس للتعليم الثانوي والعالي إلا بحلول القرن العشرين، حيث فتحت المدرسة الثعالبية في عهد الحاكم الفرنسي (جونار) سنة 1904م، رغم أن مرسوم إنشائها صدر منذ سنة 1850م[1].

ث- هجر الأهالي للمدارس الفرنسية:

كان الأهالي يتخوفون كثيرا من التعليم الرسمي المقصور على تعلم اللغة الفرنسية وحضارتها، إذ رأوا فيه وسيلة خطيرة لفرنسة أبنائهم، فكان الإقبال على هذه المدارس ضئيلا جدا..ومع عدم وجود المدارس الحرة الكفيلة باحتضان أبناء المسلمين، فإن نسبة الأمية ارتفعت إلى درجة مذهلة، كما مر بنا آنفا.

كل هذه العوامل ساهمت بطريقة أو بأخرى في انتشار الجهل ولأمية بين أفراد الشعب، مما جعل هذه الحالة الثقافية والفكرية والدينية في تلك الفترة تبعث على الحزن والأسى[2]

- **المرحلة الثانية (1900-1914م):**

الأمة الجزائرية هي قطعة من المجموعة الإسلامية العظمى من جهة الدين، وهي ثلة من المجموعة العربية من حيث اللغة التي هي لسان ذلك الدين.

فالأمة الإسلامية بهذا الدين وهذا اللسان وحدة متماسكة الأجزاء، يأبى الله لها أن تتفرق وان كثرت فيها أي دواعي الفرقة، ويأبى لها دينها، وهو دين التوحيد، إلا أن تكون موحدة.

فعلى الرغم من الحصار الذي فرضته فرنسا على الجزائر لعزلها عن بقية الأقطار الإسلامية، خاصة تلك التي لم تبتل بما ابتليت به من محاولة طمس دينها ولغتها، فإنه مع إطلالة القرن العشرين بدأت الجزائر تعيش حركة فكرية شبه متواصلة مع الأقطار الإسلامية الأخرى، سواء عن طريق الطلبة الذين بعثوا للدراسة في جامع الزيتونة والأزهر والجامعات الإسلامية الأخرى، أو عن طريق الدعوات الإصلاحية التي قامت في البلاد الإسلامية، مثل دعوة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

[1]- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، (1870-1900)".

[2]- عبد القادر حلوش،"سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر"، دار الأمة، ط1، الجزائر، 1999، ص 55.

و هناك عوامل أخرى ساعدت على قيام هذه الحركة الفكرية، كتلك البوادر الإصلاحية الفردية التي قام بها في الجزائر بعض العلماء المتفاعلين مع حركة الإصلاح الإسلامي. ولعلى مما ساعد على قيام هذه النهضة أيضا، تولي المسي (شارل جونار) الولاية في الجزائر.

وهنا نلقي بعض الضوء على جانب من تلك العوامل التي ساهمت في ظهور وانتعاش النهضة الفكرية في الجزائر:

1- **عودة الطلبة الذين درسوا في الخارج:**

وأقصد بهم الطلبة الذين درسوا في جامع الزيتونة، وجامعة القرويين، والأزهر، وفي الحجاز والشام. ساهم هؤلاء المثقفون بعد عودتهم إلى الوطن بجهود عظيمة في النهوض بالحياة الفكرية والدينية، بما أثاروا همم وأحيوا من حمية، وبنوا من مدارس في مختلف أنحاء الوطن، وبما أصدروا من صحف، معتمدين في ذلك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فأصلحوا المفاهيم، ونقوا جميع الأفكار من رواسب البدع والخرفات التي علقت بها، وأحيوا الشعلة التي أخمدها الاستعمار في نفوس هاته الأمة...ويوم أسوداد المآزم وتلاحم الخطوب، أعادوا ذكرى أسلافهم في الصبر والصمود. ومنهؤلاء مثلا الرواد الذين ساهموا في إثراء هذه النهضة الفكرية الإسلامية بالجزائر نذكر:

- **الشيخ عبد القادر المجاوي 1848-1913م:**

تخرج الشيخ المجاوي من جامعة القرويين بمدينة فاس، ويعتبر من العلماء القلائل الذين كانوا على رأس الحركة الإصلاحية في الجزائر، (فلا تجد واحدا من هؤلاء (المصلحين) في الربع الأول من هذا[1] القرن إلا وهو من تلامذته).. خرج أفواجا كبيرة من المدرسين والأئمة والوعاظ والمترجمين والقضاة، كان من بينهم الشيخ (حمدان الونيسي) أستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس.. وقد ترك الشيخ المجاوي آثارا علمية كثيرة في اللغة والفلك والعقيدة والتصوف، نذكر منها: كتاب (الدرر النحوية)، و(الفريدة السنية في الأعمال الحبيبية)، و(اللمع في إنكار البدع)، و(نصيحة المريدين)، وغيرها مما يضيق المقام بسردها[2].

[1]- عبد القادر حلوش، المرجع السابق.

[2]- محمد الصالح الصديق" أعلام من المغرب العربي"، ج1، موفع للنشر، الجزائر، 2000،

ومن بين رواد النهضة الإسلامية في تلك الفترة أيضا العلامة:

- **الشيخ عبد الحليم بن سماية 1866-1930:**

يعتبر الشيخ ابن سماية في مقدمة الأفاضل الذين أمدوا هذه النهضة بآثار فضلهم، ومن أوائل المصلحين الجزائريين الداعين لفكرة الإمام محمد عبده الإصلاحية، ومن رفاق الشيخ المجاوي في التدريس، كما يعد من أوسع علماء عصره علما وثقافة. (فقد تخرج على يديه جيل من المثقفين مزدوجي الثقافة، وخلف مؤلفات كثيرة منها كتاب (فلسفة الإسلام)[1].

ومما تتجدر الإشارة إليه هنا، أن أغلب أعضاء البعثات العلمية التي ذكرنا سابقا، قد ظهر تأثيرهم على الحياة الفكرية والحركة الإصلاحية بشكل ملحوظ، في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن خاصة، مثل: الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ مبارك بن محمد الميلي، وغيرهم[2].

2- **الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي:**

كان للدعوة التي قادها الأستاذ جمال الدين الأفغاني أثر كبير في نشر الفكر الإصلاحي السلفي في الجزائر فرغم الحصار الذي ضربه المستعمر لعزلها عن العالم الإسلامي، زار الشيخ محمد عبده-تلميذ الأستاذ جمال الدين-الجزائر عام 1903م، واجتمع بعدد من علمائها، منهم الشيخ محمد بن خوجة، والشيخ عبد الحليم بن سماية، كما ألقى في الجزائر تفسير سورة العصر. وقد كان لمجلة العروة الوثقى ومجلة المنار تأثير كبير على المثقفين من أهل الجزائر، الذين اعتبروا دروس العقيدة التي كانت تنشرها (المنار) للإمام محمد عبده، بمثابة حبل الوريد الذي يربطهم بأمتهم.

وقد استمر الاتصال الفكري بين الجزائر وغيرها من البلاد الإسلامية ولم ينقطع، فقد شارك الشيخ عمر بن قدور بقلمه في جريدة (الحضارة) بالآستانة، و (اللواء) و (المؤيد) بمصر سنة 1914م، وقد كانت هذه الجرائد والمجلات تدعو إلى نهضة العرب والمسلمين، وكانت رائجة في

[1]- عبد الكريم بو الصفصاف، "الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج، دار الهدى والنشر، الجزائر، 2005، ص 142.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي" تاريخ الجزائر العام"، ج2، د، م، ج، ط7، الجزائر، 1995، ص 404.

بلاد المغرب الجزائر خاصة. ويعترف الفرنسيون بأن هناك (مجرى سريا، ولكنه غزير ومتواصل، من الصحف والمجلات الشرقية التي أعانت الغارة في مجهوداتهم الإصلاحية، وجعلتهم مرتبطين أبدا بالرأي العام العربي[1]

3-**ظهور الصحافة العربية الوطنية في الجزائر :**

ظهرت في الجزائر خلال تلك الفترة صحافة وطنية عربية، ساهمت مساهمة فعالة في بحث النهضة الفكرية ولإصلاحية الحديثة.

فقد عالجنا في صفحاتها من الموضوعات الحساسة، منها: الدعوة إلى تعليم الأهالي، وفتح المدارس العربية لأبناء المسلمين، والتنديد بسياسة المستعمرين واليهود، ومقاومة الانحطاط الأخلاقي خاصة البدع والخرافات فهذا الأستاذ عمر راسم يجلجل بأرائه في غير مواربة ولا خوف، فيقول: أجل، يجب أن نتعلم لكي نشعر بأننا ضعفاء.. يجب أن نتعلم لكي نتعرف كيف نرفع أصواتنا في وجه الظلم، يجب أن نتعلم لكي ندافع عن الحق، وتأبي نفوسنا الضيم، ولكي نطلب العدل والمساواة بين الناس في الحقوق الطبيعية، وفي النهاية لكي نموت أعزاء شرفاء ولا نعيش أذلاء جبناء.

كما ظهر في هذا الميدان كتاب شاركوا بمقالاتهم وتحليلاتهم في تشخيص الداء الذي ألم بالأمة، واقتراح الدواء الناجع لذلك، من هؤلاء الشيخ المولود بن المهوب، والشيخ عبد الحليم بن سماية، ولأستاذ عمر بن قدور وغيرهم[2].

هذه باختصار أهم العوامل التي ساعدت على قيام تلك الحركة الفكرية الإصلاحية بالجزائر، في الفترة التي ظهر فيها الشيخ عبد الحميد ابن باديس.

وكخلاصة حول الحياة الفكرية والأدبية في الجزائر أثناء الدخول الفرنسي يمكن أن نتوصل إلى ما يلي:

[1]- صالح فركوس،"تاريخ الجزائر" دار العلوم للنشر والتوزيع، ر، د، م، ك، الجزائر، 2005، ص 403.

[2]- أبو القاسم سعد الله" أبحاث واراء في تاريخ الجزائر"، المرجع السابق، ص 135.

- انتشار الثقافة في الجزائر منذ العهد العثماني، وهذا بفضل الدور الذي لعبته مختلف المؤسسات مثل: المساجد، الطرق الصوفية، المدارس القرآنية(الكتاتيب)، ومساهمة بعض الحكام والبايات وتشجيعهم لبناء المساجد وتقريب العلماء مثلالصالح باي في قسنطينة، ومحمد الكبير باي بإقليم الغرب ورصد مختلف الأوقاف لها حتى تستطيع مواصلة دورها في نشر المعرفة، وهذا ما يفند مزاعم المتعصبين الذين يدعون انعدام الثقافة قبل الوجود الاستعماري، ويبطل الدور الإيجابي للاستعمار الفرنسي، حيث يعترف الكثير من المنصفين أن الجزائر كان لها صدى كبير في الجانب العلمي و الفكري والتربوي وقد أكد ذلك "روزيت" أن مدينة الجزائر "كان بها 100 مدرسة عمومية وخاصة قبل حلولنا وبها يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة والقرآن وبعض الحساب..."
- السياسة الاستعمارية التعليمية التي تقوم على هدم مقومات الشخصية الجزائرية والعبث بالموروث الثقافي السابق، ومحاولة فرض ثقافة جديدة وغربية على الشعب الجزائري بدعوى تحضيره لاستقبال الحضارة الغربية، وكانت هذه النظريات معدة في مخابر الكنيسة وحقدها لا فيجري المطران بالدولة المارقة والكافرة التي تخلت عن مسيحتيهاالألح المسلمين والإسلام مع مجيء العرب المسلمين إلى إفريقيا في القرن 7.
- رغبة الاستعمار الفرنسي التحكم في الشعب الجزائري بعد فشل المقاومات الشعبية الأولى التي قادها مكل من الأمير عبد القادر (1832-1847)، والحاج أحمد باي (1837-1848)، وبداية عهد التهدئة مع اصطدام الإدارة الفرنسية بواقع التعامل مع الأهالي، وهذا ما أدى إلى تأسيس المدارس الشرعية لغرض تخريج أعوان لها من : عون، حزاب، مفتي ، إمام... يساهمون في تثبيت أركان الإدارة الجديدة ويكونون الوساطة بينها وبين الشعب.
- رغم اهتمام فرنسا بهذه المدارس و التركيز عليها داخل المجتمع لكنها فشلت في الوصول إلى النتائج المرجوة، وذلك لنوعية التعليم المقدم فيها والذي لم يكن راقيا بمستوى ودرجة المدارس المجاورة لأنه لم يهدف إلى تكوين متعلمين بقدر ما سعى إلى إيجاد مساعدين في الإدارة والمكاتب العربية، إضافة إلى نوعية البرامج المقدمة والتي لم تكن مدروسة من طرف العلماء أو الشيوخ لمننها معدة من طرف فرنسا المستشرقين مثل: الفريد بال، رينيه،

باسيه...الذين يفتقدون إاى ملكة اللغة العربية، من هنا تلقى هؤلاء الطلبة تعليمات أقل من مستوى المدارس القرآنية الحرة، وبعيدا عن المنهاج الفرنسية.

- ظهور نخبة مدرس من الأساتذة والمدرسين أو الطلبة التي ساهمت بشكل فعال في الدفاع عن الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية، وتنتمي إلى فئة المحافظين مثل: الشيخ عبد القادر المجاوي، عبد الحليم بن سماية، المولود بن الموهوب...وكانت أفكارهم تصب في التصدي لمختلق المشاريع الاستعمارية مثل: التجنيد الإجباري، الاندماج...وبذلك نالت احترام وتقدير الشعب الجزائري.
- تبنى أفكار الجامعة الإسلامية التي نادي بها الشيخ الدين الأفغاني، ومحمد عبده، خاصة بعد زيارته للجزائر في أواخر 1903 وثمن جهود هؤلاء العلماء وبارك أعمالهم وحثهم على المزيد من العمل والتصدي لمشاريع الاستعمار الفرنسي ومخططاته وضرورة النهوض بالشعب الجزائري عن طريق تعليمة وإرشاده إلى سبل الاستقلال.
- تعتبر هذه النخبة من المدرسين والتلاميذ ورجال الزوايا والطرق الصوفية هي من تصدت للاستعمار الفرنسي وسياسته سواء من الجيل الأول أو الثاني مثل: مالك بن نبي ومصطفى الأشراف حيث أصبحت هذه الطبقة تضم أفكار استطاعت من خلالها تقديم الحلول للمشاكل التي يتخبط فيها الشعب الجزائري.
- إن مساهمة هذه الفئة وإن كانت قليلة أو بسيطة عبر الصحافة لكن هذا راجع إلى انشغالها بالتدريس وكذا حلقات الدرس إما في المدرسة أو المساجد، ورسالتها تكمن في اتصالها المباشر بالشعب عبر مختلف الدروس ولكونها كانت مراقبة من طرف المستعمر فقد كانت منشغلة بالكتابة والتأليف في جميع الفنون والعلوم خاصة في مجال التعليم.

-نشأةالشعر خلال العهد التركي:

إن الأغراض التي كتبها الشعراء خلال العهد العثماني كانت متنوعةفمن مدح إلى رثاء إلى أغراض سياسية إلى شعر صوفي و منظومات دينية مختلفة بالإضافة إلى الشعر الشعبي الذي كان كثيرا ما يوصف الحياة الاجتماعية للناس،كما تجدر الإشارة إلى أن هذه النصوصالشعرية التي تتوفر لدينا قليلة و في بعض الأحيان ليست كاملة ،بل كانت عبارة عن مقاطع تم جمعها من مضامين مراجع مختلفة كانت هي الأخرى تكتفي بالذكر مقطوعات قصيرة فقط باستثناء بعض القصائد مثل قصائد محمد الشاذلي القسنطيني ، أما ما يمكن قوله حول هذا الشعر من الناحية الفنية فهو لم يرقى إلى مصاف الشعر الممتاز كالشعر الجاهلي و في الوقت نفسه هو أدب متوسط ، كما أن له أغراض متعددة من فخر و مدح....

ومن الشعراء الذين كتبوا في الشعر خلال العهد العثماني نجد مثلا:

- أبي الرجال الشيباني وزير المعز بن باديس في غرض الفخر بقومه و الذي يقول:

يا آل شيبان لا غارت نجوكم ولا خبت ناركم من بعد توقيد

أنتم دعائم هذا الملك منذ ركضت قبل الخيول لإبرام و توكيد

وهو افتخار بقومه من آل شيبان و يدعوا أن تظل نجومهم مضيئة في سماء العروبة و أن تظل نيرانهم لا تنطفئ أبدابابطولاتهم العظيمة.

كما نجد شاعرا آخر و هو عبد الكريم بن الفكونالقسنطينيالتوفي في أوائل القرن السابع للهجري يفتخر ببلدته "بجاية" و مسقط رأسه قائلا:

1– شوقي ضيف،"تاريخ الأدب العربي- عصر الدول و الامارات"،ط1،دار العارف، كورنيش النيل،القاهرة،ج،م،ع،1119،ص15

دع العراق و بغداد و شامهم فالناصرية ما من مثلها بلد

بر و بحر و مرج للعيون به مسارح بان عنها الهم و النكد

حيث الهوى و الهواء الطلق مجتمع حيث الغنى و المنى و العيشة الرغد

و النهركالصل و الجنات مشرفة و النهر و البحر فالأمواج تطرد

يا طالب و صفها إن كنت ذا نصف قل جنة الخلد فيها الأهل و الولد

وهو يفضل الناصرية أو بجاية على بغداد و دمشق، ويقول انه ليس مثلها بلد جمعت بين البر و البحر ومشاهد مرج بأشجارها و نباتاتها البديعة التي تزيل الهم و النكد حيث مجتمع الحب و الهواء الطلق ،و كأنما البحر مرآة و النهر يدها الثابتة.

و يقول أحمد بن علي المليانى:

العز ما ضربت عليه قبابي و الفضل ما اشتملت عليه ثيابي

و الزهر ما أهداه غصن يراعني و المسك ما أبداه نقش كتابي

فالمجد يمنع أن يزاحم موردي و العزم يأبى أن يسام جنابي

و هو يفتخر فخرا مسرفا ،فالعزم ما ضربت عليه خيامه و الفضل ما اشتملت عليه ثيابه و الزهر كلماته مما كتبه قلمه ، و بلغ من المجد أن لا يزاحمه أحد في مورده و إذ عقد مع شخص مودة كانت غذاء لروحه و جرت مجرى الطعام من دمه و شرابه

1– شوقي ضيف،المصدر السابق،ص151.

.

كما نجد ابن خميس شاعر تلمساني بعروبته و دينه منشدا:

إنا بني قحطان لم تخلق لغير غياث ملهوف ومنعة لاجئ

بسيوفنا البيض اليمانية التي طبعت لحز غلاصم ووداج

و هو يفخر بأصوله من بني قحطان اليمنيين الذين إنما خلقوا لغياث الملهوف و حماية اللاجئ لهم بسيوفهم اليمنية التي صيغت لقطع الرقاب.

و قد كان هناك شعراء كثيرون قبل العهد العثماني و خلاله ومن كبارهم نجد ابن قنفذ القسنطيني و له أشعار دينية ،و ابن مرزوق الحفيد التلمساني و له منظومات تعليمية كثيرة،و إبراهيم التازي و له أشعار صوفية بديعة ،و محمد بن الحباك و له منظومات فلكية ،بالإضافة إلى ابو عبد الله ألبنا و له غزل بديع، و احمد بن عبد الله الجزائري له منظومة في علم التوحيد و مرثية بديعة لأستاذه الثعالبي.....

فقد كان هناك شعراء في مختلف الأغراض الشعرية (المديح – الفخر – الرثاء الهجاء...)

و من الحق أن الشعر في الجزائر خلال العهد العثماني عرف نوع من التطور سواء نظم على لسان البدو من الأعراب ،أو على لسان أهل الحضر و المدن ، و الجزائر في ذلك مثل بقية البلدان العربية عامة إنما كانت تعتني بالشعر الفصيح و الشعر العامي معا

و من الحق أن الهجرة الأعرابية الكبرى إلى الجزائر استطاعت منذ القرن الخامس الهجري أن تفرض لغتها العروبية على سكان البدو و سفوح الجبال و السهول و الحواضر

1– شوقي ضيف،المصدر السابق،ص ص109-110.

بفضل امتزاج الأعراب بالبربر في المعاش و عنطريق المصاهرة و الذي دفعهم إلى التخاطب بالعربية ، الأمر الذي جعل الشعر خلال العهد العثماني يعرف نوعا من التطور

خاصة عن طريق الترجمة لمشايخ الطرق الصوفية و في أخبار الأندلس و تراجمها .

كما نجد انتشار الشعراءو الشعراء من خلال الأغراض المتمثلة في مدح الولاة العثمانيين و مدح شيوخ الزوايا و العلماء الأجلاء على نحو ما نرى عند الشاعر القوجيليفي إكثاره من المديح على الفقيه علي بن عبد الوحيد الأنصاري في قوله:

أبو الصلاح علي في الكرام علا من لايماثله في الناس من أحد

بحر طمى فرمى درا لملتقط غيث همى فنما نفعا لمجتهد

و هو في قوله هذا ينعت الشيخ بالصلاح و يرفع من درجاته فوق الناس و هو يشيد بعلمه و بلوغه منتهاه .

و نجد أيضا الشاعر الشهاب بن مخلوف الذي يمدح أبا تاشفين في قوله:

إمام تولى الله تشيد فخره فما شئت من مجد و من كرم عد

يعد إلى الأعداء كل كتيبة بها الجرد و الفوارس كالأسد

فهو يقول انه يعد إلى الأعداء كتائب تضرب خيلها الأرض بحوافرها ،و يضرب فرسانها الأعداء ضربات قوية.

1– شوقي ضيف، المصدر السابق، ص ص 141،148.

بالإضافة إلى الشاعر محمدبن يوسف القيسي الثغر التلمساني في مدحه حيث يقول:

يا إمام الهدى و شمس المعالي و غمام الندى و بدر النوادي.

حيث أنه يشيد به و يجعله إمام الهدى و الشمس المعالي و سحاب الكرام.

أما فيما يخص الشعر الشعبي فقد كان له دور كبيرا في هذه الفترة و له عدد كبير من الشعراء في مختلف الأغراض خاصة التصوف و الحرب و رثاء لرجال الدين و غيرها، مثل ما نجد عند بلقاسم الرحموني في قصيدته التي صورت أحوال مدينة قسنطينة عموما و التي لم تكن سياسيا و لم تكن ضد الحكم العثماني ،بل كانت ضد الدخلاء على المدينة في أحوال المعيشة

عام مكبرة هاي سيدي بالكساد و غلات المعيشة النعما

كيف نخبرها سيدي بالفساد في كمان حوما

باح كل شئ بلا كتما في بلدة قسنطينة الدهما (1)

و كذلك نجد محمد الشاذلي و هو يخاطب حاكما عثمانيا فيرى فيه البدر الذي رحل و اختف النور برحيله و عودته بزيارته مرة أخرى و كيف أن النوم فارق جفنيه بغيبته حيث يقول:

دعت لكم كل الرعية بالمنى لسيركم فيها سير أولي الخير

و بالعدل و الإنسان مع ردع ظالم يريد به أخذ الحقوق بلا فكر

كذلك قصيدته في مدح قسنطينة فقد صور جمالها و موقعها و هوائها يقول:

قسنطينة الغراء فزت ببهجةو عز كل البلاد و رفعة.

كأنك فوق الكهف سلطان قد علا سرير عزيز الملك و هو ذو سطوة (2)

1- أبو القاسم سعد الله،"محمد الشاذلي دراسته من خلال رسائله و شعره"،المؤسسة الوطنية للكتاب،1985،ص101.

2-سعيدوني ناصر،"النظام المالي في الجزائر"،بين فترتي 1800-1830،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، مطبعة أحمد زبانة الجزائر،1979،ص240.

و من هذا العرض السريع لأهم الشعراء و شعرهم خلال العهد العثماني يتبين لنا أن الجزائر عرفت خلال التواجد العثماني في الجزائر الشعر الفصيح و الشعر العامي و بمختلف أغراضه ، و استطاعت بفضل التراجم عن الطرق الصوفية و الهجرة الأندلسية أن يظهر

هناك شعراء جزائريون برزوا في كتاباتهم الشعرية المختلفة، فقد كتبوا حول العلماء و رجال الدين و وصف المدن الجزائرية و مدح شيوخ الزوايا والطرق الصوفية، فإننا يمكن القول أن الشعر في الجزائر خلال هذه الفترة قد تخطى كل العقبات التي واجهته و الظروف الصعبة التي أحاطت به، فقد جعل لنفسه مكانة مرموقة تلفت الأنظار نحوه و كذا أن تجلب له العديد من الدارسين الذين يهتمون به.

مدخل إلى الأدب الشعبي الجزائري:

من بين الأنهار العريقة التي تصب في بحر الأدب عامة، نجد : الأدب الشعبي ، والّذي يعتبر ذاكرة الأمم و مخزونها الذي يتجدد بتجدد الفكر الإنساني،وهو خير وسيلة تلقائية للتعبير عن الذات بكل حرية و طلاقة و عفوية دون أي قيد ، فالأدب الشعبي هو التعبير الفطري الصادق عن أحلام الأمة و تطلعاتها و أمالها في الحياة ، و أوضاعها المعاشة.

فقد ، تعددت مصطلحات و تسميات الأدب الشعبي غير أنها تنساب إلى مجرى واحد و تشترك في معنى واحد يقال له التراث الشعبي أو المأثور الشعبي أو الثقافة الشعبية أين عرف بمصطلح الفلكلور ، و هو من أصل كلمة غربي ينقسم إلى شقين :

الشق الأول فلك (FOLK) الذي يعني التراث الشعبي و لور (LORE) تعني قوم أو شعب .» و قد انتقلت تسمية الفولكلور إلى اللغة العربية ضمن التأثيرات الثقافية التي وفدت من الغرب ،و لا يزال يستخدم من قبل عدد كبير من الكتاب العرب، و لا سيما في الصحافة و الإذاعة و المسرح ،مما أدى إلى انتشار مصطلح فولكلور في الحياة اليومية من قبل العامة في الوطن العربي «.(1)

والفلكلور يشمل: « الفنون والمعتقدات وأنماط السلوك الجمعية التي يعبر بها الشعب عن نفسه، سواء استخدمت الكلمة أو الحركة أو الإشارة أو الإيقاع، أو الخط أو اللون، أو تشكيل

1- التلي بن الشيخ ،منطلقات التفكير في الأدب الجزائري، المؤسسة الوطنية لكتاب ، الجزائر ، 1990، ص: 71.

المادة أو آلة بسيطة» (1) ، وهو كذالك يشمل الفنون المادية الشعبية من مباني ومدن وأدوات وملابس وغيرها، لكن الفنون القولية هي الأشد تأثيرا في الذاكرة الجماعية وأبقاها، وخاصة الأشعارالملحونة والقصص الشعبية والأحاجي وغيرها مثل (سيرة بن هلال وألف ليلة وليلة، والأمثال الشعبية والنكت.....).

والأدب الشعبي هو مصطلح مركب من شقّين هما :أدب وشعب.

أما كلمة الأدب: وهي مصطلح عام يحمل آفاقا واسعة، والأدب هو «ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى، من شعر أو نثر صادر عن أديب كاتب أو شاعر، وخاضع لمنطق لغوي فني معين» (2).

وكلمة شعب (شعبي) : صفة مشتقة من الاسم الموصوف (شعب) تحيل إلى مجموع الناس الذين يشتركون في علامة مماثلة، الدين، الدولة، الأصل، الأرض.

وكلمة الشعبي جاءت لتخصص كلمة الأدب وتحصرها في نطاق الشعب. و لما كان الأدب الشعبي وسيلة تعبير عن ذات الأمة وكيانها، تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم: « أن الأدب الشعبي

1- احمد علي مرسي ، مقدمة في الفلكلور ، عين الدراسات و البحوث الإنسانية الاجتماعية ، 2001،ص: 12.
2- محمد سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، سلسلة دروس جامعية(آداب)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998 ،ص:19

ينبع من الوعي واللاشعور الجماعي» (1) ، وتضيف بأن الأدب الشعبي هو نتاج جماعة تنتمي إلى شعب معين، ولا يشترط بأن يكون الشعب بأسره مشارك فيه « عندما ننطق بعبارة الأدب الشعبي أوالتراث الشعبي، فإننا نكون على وعي تام بأننا نعني نتاج جماعة بعينها وليس الشعب بأسره»(2)

ومن هنا بات الأدب الشعبي اليوم موضوعا معاصرا، يعنى به قبل الدارسين و النقاد الباحثين لأنه أصبح أدبا لا يقل أهمية عن الأدب الرسمي، فهو المرآة العاكسة لواقع الناس و يومياتهم و قد أدرك الباحثون و المختصون في هذا المجال ذلك الفرق الموجود بين الأدب الشعبي و الأدب العامي مبرزين الخلط الذي كان قائما بينهما، و سبب رفض بعض المثقفين للأدب الشعبي .

لقد رافق هذا التراث الأجيال المتعاقبة، وهو ملك لها، فالشعراء الشعبيون لعبوا دورا بارز في المحافظة على هذا الإرث من الاندثار والضياع وزادوا عليه وأبدعوا فيه جاعلين من أشعارهم صوتا شعبيا يوجه الّناس، ويوعيهم ويعرفهم بقضاياهم الوطنية و الاجتماعية، ولا سيما في المراحل السابقة التي لم يكن فيها الإعلام على هذا القدر من التطور والانتشار، والشعر الشعبي جزء من التراث فالأدب الشعبي يضم فنونا وكنوزا لا تعد ولا تحصى وحرام أن تضيع، وإن جمعها و تعميمها هو واجب ثقافي، ذو مضمون إنساني و وطني من الدرجة الأولى .

---

1 - نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 1981 ، ص:03.
2 - المرجع نفسه ، ص: 09.

من هنا بات ضروريا الحفاظ على هـذا التراث الشـــعبي والإرث الحـــضاري مـــن الضياع و الاضمحلال، والاهتمام به، وإعادة بعثه، والإشادة بالشعراء الشعبيين.و أن يأخذ نصيبه من الدراسة و الاهتمام لدى الدارسين و المهتمين، فهذا الأدب هو الذي يربط ماضي هذه الأمة بمستقبلها، و هو صلة بين السلف والأجيال الناشئة.

مصطلح الشعر الشعبي:

لقد كان الشعر الشعبي المرآة العاكسة لواقع الشعب الجزائري المعاش و معلما من معالم ثقافته ، معبرا عن ذاته و ملازما له في حياته اليومية فردا آو جماعة، من خلال عفويـــته و لغته البسيطة و تعبيره عن همومهم دون تعقيد أو تزييف « فالشعر الشعبي يعرف بين الناس و ينتشر لتعبيره عن أحوالهم اليومية همومهم في مناسباتهم العامة و الوطنية،... و الملاحظ ان مؤلفات المبدعين من شعراء العامية تتضمن نظرة شمولية تمتد إلى الإنسان و الحياة ومشاكلها ،و التاريخ والمواقف الوطنية و الارتباط بالأرض،والطبيعة وتمجيد الرحلات الوطنية و العلمية و الفكرية، و الاهتمام بآثارهم و بطولاتهم و مؤلفاتهم ، و دون اعتقال للفنون الأخرى يشارك فيها جميعها مع الشعراء النخب.» (1)

إشكالية المصطلح و تعدد التسميات :

يعد الأدب الشعبي جزءا هاما من التراث الشعبي، ويتضمن أشكالا مختلفة منها، الحكايات و الأساطير و الألغاز والأمثال والشعر،ولكل من هذه الأشكال خصائص ومـــميزات أشار

1- نقلا عن نبيلة سنجاق مقال بعنوان :الشعر الشعبي بين الهوية المحلية و نداءات الحداثة، ،الرابطة الوطنية للأدب الشعبي. د.ت،ص:168.

إليها الباحثون والدارسون في حقل الأدب الشعبي، فعرفوا الأشكال واستنبطوا طرائق تركيبها ونظروا إلى نصوصها و ما تحمله من دلالات فكرية و ثقافية و اجتماعية ....الخ وما الشّعر الشّعبي إلا واحد من هذه الأشكال الذي يعبر عن واقع الشعب فيصور آلامهم وآمالهم وطموحهم إلا أن الدارسين لهذا الشكل قد اختلفوا في كتاباتهم حول التسمية التي يمكن أن يطلقونها على هذا النوع من التعبير الشعري ، فالبعض يطلق عليها مصطلح الشعر الشعبي و البعض الأخر يطلق عليها اسم الشعر الملحون ، بينما طرف آخر سماها بالزجل أو العامي أو حتى النبطي ، و باعتبارها تسميات أساسية يمكن أن تتفرع منها تسميات ثانوية كالموشح أو المبيت أو القصيدة و ذلك حسب النص الشعري.

ولكن أهل الاختصاص حاولوا توضيح هذه الحد ود توضيحا يبقى فيه هامش الاختلاف كبيرا مثل ارتباطه بالعامية و الرواية الشفوية وجهل مؤلفه، والبعض الآخر ربط صفة الشعبية بالعراقة و القدم والتعبير عن الوجدان الجماعي والاهتمام بالنص في ذاته بدل الاهتمام بمؤلفه. و يبقى أن لكل فريق آراءه و حججه التي تركته يتبنى هذا المصطلح دون غيره من المصطلحات و سنحاول التعرض لهذه الآراء و الحجج التي بني عليها المصطلح.

أ - الملحون:

ما يلاحظ لدى الدارسين هو أنهم مالوا إلى مصطلح «الملحون» أين جلب اهتمامهم لأنه أكثر شيوعا و انتشارا في بلدان المغرب العربي خاصة في الجزائر و هذا راجع إلى الهجرة الأندلسية التي أثرت في الشعر الشعبي عن طريق ما يسمى بالموشحات التي تنظم هي الأخرى باللهجة العامية و دون مراعاة القواعد النحوية و الصرفية، يقول المرزوقي : « إنّ

الشّعر الملحون الذّي نريد أن نتحدث عنه اليوم، فهو أعمّ من الشّعر الشّعبيّ ، إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية، سواء معروف المؤلف أو مجهوله، وسواء دخل في حياة الشّعب فأصبح ملكا له، أو كان من شعر الخواص، وعليه فوصف الشّعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو من لحن يلحن في كلامه أي أنّه نطلق بكلام عاميّ أو بلغة عامية غير معربة»(1)

وعليه فمحمد المرزوقي يعتقد بأن الشعر الملحون أعم من الشعر الشعبي، فالذين يطلقون على الشعر الملحون اسم الأدب الشعبي أو الشعر الشعبي ، إطلاق خطأ يجب تصحيحه عند علماء هذا الفن ، لكن من جانب أخر يري بعض الدارسين أن الشعر الشعبي لم يظهر إلا بعد أن فسدت اللغة العربية، و دخلها اللحن و التعريف و انتشرت العامية انتشارا واسعا و ابتعد الناس عن الفصحى و هو ما أشار إليه عبد الله الركيبي في قوله : « لمّا كان الشّعر الملحون- في معظمه- تقليدا للقصيدة المعربة فإن الفرق بينه وبينها هو في الإعراب، فهو إذن من «لحن» في الكلام إذا لم يراع الإعراب والقواعد اللّغوية المعروفة « (2).

فمن كلام عبد الله الركيبي نصل إلى فكرة مفـــادها أن الشعر الملحون يشمـــل الغنـــاء و اللحن و منه ألف العامية أغانيهم الشعبية و تغنوا بها في أفراحهم التي لا تكاد تقام ألا بحضور الأغنية الشعبية التي تشكل للشعوب حلقة ربط بين الماضي و الحاضر فتشد الإنسان إلى أرضه و تراثه و تحفظ شخصيته .

1- محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر،ط5، تونس، 1967 م، ص 45 .

2- د.عبد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث (الشعر الديني الصوفي)، الجزء الأول ، دار الكتاب العربي ، (د.ط) ، 2009م ،ص :361.

أما عن عدم تبنيه مصطلح الشعبي فمرد ذلك هو أن»إطلاق صفة الشعبي عليه،قد يوحي بأنه مجهول المؤلف والشائع أن صفة الشعبية في الأدب تنصرف إلى ما له عراقة وقدم،وإلى ما يعبر عن روح جماعية بالكلمة بحيث يصبح هذا الشعر تعبيرا عن وجدان الشعب عامة وعن قضاياه دون اهتمام بالقائل،إذ ينصب اهتمام المتلقي على النص وحده»(1). وإن كان مصطلح الملحون الذي تبناه عبد الله الركيبي راجع إلى اعتماده على الأشعار الدينية التي قيلت بلغة فصيحة خالية من الإعراب وأصحابها معروفون.

ومن هذا المنطلق نرى أن هذا الاختلاف حول التسمية مرده إلى المرجعية المعرفية عند كل باحث، وزاوية رؤيته وتحديده لموضوع الدراسة.غير أن الجدير بالذكر أن مصطلحي الشعر الشعبي والشعر الملحون هما الأكثر استعمالا بين الناس، وإذاَ كان تعريف الشعر الشعبي تدخل فيه مجهولية المؤلف؛ فإننا اليوم نعلم معظم مؤلفي القصائد ، حيث نجد أن مصطلح الشعر الملحون هو الأصح في هذه الحالة، وبالعودة إلى الشعر الشعبي الجزائري نجد أنه ينبع من عمق هذا المجتمع معبرا عن آماله وآلامه وإن طغت عليه الروح الوطنية خاصة في فترة الاستعمار، كما نجد طغيان الجانب الديني على كثير من القصائد الشعبية،وهذا لم يمنع من تناول الشعراء لمواضيع أخرى شبيهة في مواضيعها وأغراضها للشعر الفصيح.

وهذا ما يدل على أن القصيدة الملحونة تتميّز بخصائص القصيدة الفصيحة، لكن نقطة الاختلاف كانت في عدم الالتزام بقواعد الإعراب، وقد أشار العلامة ابن خلدون إلى هذه

1- د.عبد الله الركيبي ،الشعر الديني الجزائري الحديث.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.ط1، سنة 1981 ص:363.

النقطة أيضا لمّا ميّزه عن الفصيح ببنائه المخالف لقواعد اللّغة والقريب من العامية وبين سبب نشأة هذا النوع، حين قال: « كانوا يقرضون الشعر في سائر الأعاريض...ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشّعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء...» (1).

ب- الزجل :

يبرر بعض الباحثين في الأدب الشعبي عودة الشعر الملحون من جديد في كل من المغرب الأقصى والجزائر على وجه الخصوص بسبب الهجرة الأندلسية التي أثرت في الشعر الشعبي عن طريق ما يسمى «بالأزجال»، التي تنظم هي الأخرى بلهجة العامية، ودون مراعاة القواعد النحوية والصرفية، والأزجال تنظم بلغة عامية مستعجمة تختلف عن لغة الشعر البدوي الذي تطغى عليه اللهجة العامية ممزوجة بتراكيب عربية أصلا، والزجل يختلف عن الموشح الذي يعتبر نوعا غنائيا، «مما لاشك فيه أن الزجل أيسر نظما من الموشح لإمكانية استعمال اللغة العامية ولبساطة أوزانه ومسايرتها للغة الشعبية» (2) والفرق بين الموشح والزجل هو أن الأول (الموشحات) خليط من الفصحى والعامية، ويلتزم ببعض القواعد، أما الأزجال فهو شعر عامي محض، ومن ثم يكون الشعراء الشعبيين قد اهتموا بفن الزجل وقلدوه في نظم القصائد المتعددة المضامين منها القصيدة البدوية.

1- ابن خلدون، المقدمة، المجلد 2، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص582

2- عبد الحميد حاجيات، الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، ش، و، ت، ت، 1983 ، ص:14

و هذا ما يلاحظ عند الباحث المغربي عباس الجراري حين تبنى مصطلحا آخر غير الشعبي والملحون إذ يفضل أن يطلق على هذا الشعر شعر الزجل يقول في ذلك « فإن نفضل إطلاق الزجل على كل أنواع الشعر الشعبي المغربي وندعو إلى هذه التسمية بدلا من أية تسمية أخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذيوع و الانتشار»(1)، لكن عبد الله ركيبي يخالف عباس الجراري في إطلاقه الزّجل على الشعر الشعبي باعتبار أنّ الزّجل خليط من العامية والفصحى، وهو يميل إلى إطلاق مصطلح «الملحون» على الشّعر؛ لأنّ التسمية بالنسبة له: « لا تتعارض كثيرا مع بقية المصطلحات، فهي وإن اختلفت معها في بعض ما ذكرنا فإنّها تتفق معها في السمة الغالبة على هذا الشّعر، وهي أنّ روحه ولغته عاميّة في معظمها، ولكنّها تعدّ تسمية خاصة بالقياس إلى مصطلح «الشّعر الشّعبيّ»مثلا، الذّي هو أعمّ وأشمل من المصطلحات الأخرى» (2).

أما الباحث الجزائري الدكتور التلي بن الشيخ ، يرى أن سبب اختلاف الدارسين حول تسميات الشعر راجع إلى عدم تحديد هؤلاء لمفهوم الشعبية في الأدب، إذ يقول «وبالرغم من أن الباحثين في الأدب الشعبي يستخدمون تعبير الطبقات الشعبية،مثلما يطلقون تسمية الأدب الشعبي على الإبداعات الشعبية كمسلمات أو بديهيات، فإنهم لا يتفقون عند الحديث عن الشعر الشعبي»؟ ثم يضيف قائلا «كما أن كلمة ملحون قد أطلقها البعض على الشعر دون النثر مع أن اللحن من خصائص الأدب الشعبي، شعرا ونثر، بالإضافة إلى أن اللحن يشمل

1- عباس الجراري، الزجل في المغرب ، مطبعة الأمنية،ط1، المغرب، 1970 م، ص:54.
2- د.عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 364

كل أنواع التعبير الشعبي»(1) ففي هذين النصين نرى بأن التلي بن الشيخ يريد أن يوضح مسألة هامة وهي كون هذا النوع من التعبير الشعبي يحتاج إلى دراسة ميدانية عميقة حتى نستطيع إطلاق مصطلح عام موحد يشمل كامل القطر العربي إذ يقول»ونحن نعتقد أننا في بداية مرحلة دراسة تستهدف تقييم الشعر الشعبي الجزائري والتعرف على دوره في مجال الثقافة والفكر مما يجعل الرجوع إلى نصوص الشعر،والتقيد بالتسميات التي يستخدمها الشاعر الشعبي على الشعر ضرورية في هذا المجال، بدل الاعتماد على اجتهادات فردية سوف تزيـد في توسيع الجدل والنـــقاش» (2).

وعليه فالشـعبية عند التلـــي بن الشيخ تتـــحدد انطلاقا من النص الذي يعبر عن هموم ومشاكل الطبقات الشعبية،أي بما يتركه النص من انفعالات وتأثيرات على الشعب وبغض النظر على معرفة صاحبه أو جهله إذ يقول « إن ارتباط النص بقائله ليس مهما،ولكن الأهم أن يعبر عن خلجـــــات النفوس و صبوات الروح،بحيث يجد فيه المتلقي ما يصور أحاسيسه وعواطفه» إذ الشعبية عنده هي « ظاهرة اجتماعية وثقافية تتغير بظروف المجتمع وتكتسب مقوماتها من واقع حياة الناس»(3)،إذ لا ينبغي أن تحدد الشعبية بفترة زمنية عريقة في القدم أو حديثة العهد بل بما يتركه أي تعبير شعبي من تأثير في المجتمع سواء كان هذا الأخير موغلا في القدم أو حديثا.

1- التلي بن الشيخ ،دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، 1983، ص :366.
2- المرجع نفسه، ص 365.
3- التلي بن الشيخ ،دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، 1983،ص:370-371.

أما عن تعرضه لكلمة «ملحون» فيرى التلي بن الشيخ ،أنها كانت محل جدل ونقاش إذ حصرها البعض، في موضوع النطق على خلاف قواعد الإعراب، ومنهم محمد المرزوقي كما رأينا ، أما الباحث الجزائري العربي دحو، فيعتقد أثناء مناقشته للآراء التي حدد فيها أصحابها معاني المصطلحات، بأنها أراء وأحكام جزئية،فيذهب في قراءته لرأي محمد المرزوقي على أنه تعريف شامل إلا أنه اعتمد على جهة واحدة إذ يقول « إلا أننا عندما نفحص آخر الفقرة السابعة نجد الباحث قد أعطى هذه التسمية لهذا اللون من الشعر اعتمادا على خلوه من القواعد النحوية والصرفية أو على عدم احترامها في أثناء النطق به عند الإلقاء والتلاوة أو عند الكتابة»(1)، ويقدم رأيه على أن هذا النوع من الشعر لا يتصل بالقواعد النحوية والصرفية فحسب، ولكنه يمس اللغة بشكل عام.

وإن كان هذا دليل على أن العربي دحو يريد أن يشرك الشاعر الشعبي كطرف أساسي في عملية وضع المصطلحات وتحديد مفاهيمها، لأن المصطلح يبقى اجتهاد من طرف الباحث، فهو لم يعتمد على النصوص الشعرية، ويفهم من خلال النصين السابق أن العربي دحو يشاطر كلا من عبد الله الركيبي عندما تكلم عن مسألة أن مفهوم الشعر الملحون ينبغي أن ينظر إليه من كافة الجوانب التي تشكل هذا الشعر لا من جانب واحد كما حدده المرزوقي، ويوافق كذلك التلي بن الشيخ عند حديثه عن مسألة الرجوع إلى النصوص وإلى الشاعر لتحديد المصطلحات.

1- العربي دحو،الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية،ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص:26

وفي تناوله لمصطلح «الزجل»الذي أطلقه عباس الجراري والذي يهدف من ورائه كما يعتقد إلى توحيد المصطلح في كامل الأقطار العربية، فيرى العربي دحو بأن « دراساتنا الأدبية والفكرية في كل الأقطار العربية ما تزال حبيسة الإقليمية الضيقة ، فكيف يمكن تحقيق ذلك في الدراسات الشعبية التي نجد في خصائصها الأصلية الإقليمية التي تخص كل جهة وتميزها من غيرها من الجهات»(1).

فالشعر الشعبي يمثل أحد مكونات التراث الجزائري الأساسية، يصور بدقة واقع حياة عامة الشعب المطبوعة والراسخة في عاداته، وأعرافه، وعقائده وفنونه و يعبر عن أماله و آلامه ويعكس قضاياه المختلفة، والمتتبع لهذه الذخيرة يستشف من خلالها، ودون عناء،نفسية المجتمع ووجدانه وميوله وأخلاقه ومعاناته. هذه الموسوعة الغنية بالقصائد الفذة التي تضاهي المعلقات تشمل معظم الخصائص السياقية والنسقية التي تشكل الشخصية القومية، والهوية الوطنية للإنسان الجزائري في حقبة ما من تاريخ أمتنا لكن و.يبقى إنّه من الصعب تقديم تعريف موحد للشّعر الشّعبي؛ لأنّ معظم التعاريف السابقة تثبت أحقية التسمية للمصطلح عن آخر، لكن الرأي الصواب هو لكلّ منطقة وتسميتها الخاصة.

نشأة الشعر الشعبي:

لقد كان الشعر الشعبي المرآة العاكسة لواقع الشعب الجزائري المعاش و معلما من معالم ثقافته، معبرا عن ذاته و ملازما له في حياته اليومية فردا آو جماعة، من خلال عفويته و

1- العربي دحو، الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية، ص:27.

لغته البسيطة و تعبيره عن همومهم دون تعقيد أو تزييف « فالشعر الشعبي يعرف بين الناس و ينتشر لتعبيره عن أحوالهم اليومية و همومهم في مناسباتهم العامة و الوطنية،... و الملاحظ أن مؤلفات المبدعين من شعراء العامية تتضمن نظرة شمولية تمتد إلى الإنسان و الحياة و مشاكلها ،و التاريخ والمواقف الوطنية و الارتباط بالأرض،والطبيعة وتمجيد الرحلات الوطنية و العلمية و الفكرية، و الاهتمام بآثارهم و بطولاتهم و مؤلفاتهم ، و دون اعتقال للفنون الأخرى التي يشارك في جميعها الشعراء النخب.» (1)

من الصعب تحديد زمن أو عصر معين لنشأة الشعر الشعبي في الجزائر، أو في غيرها من البلدان العربية ، فمن الباحثين من يرجح نشأة هذا الشعر إلى «عصور موغلة في القدم، إلى تلك اللهجات العربية التي ظهر بعضها في العصر الجاهلي»(2) ، ثم انتقلت إلى المغرب العربي مع الزحفة الهلالية فمن المعروف أن القرآن الكريم قد نزل بلغة قريش ، إذ كانت وقتئذ أفصح لغة يقول الله عزوجل في سورة النحل:{لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}(3) ، أي بلسان عربي فصيح.

بدأ الشعر الشعبي غير المعرب في المغرب العربي مع الفتح الإسلامي، ثم انتشر « بصورة واضحة بعد مجيء الهلاليين [سنة 460 هـ - 1067] م إلى الجزائر حاملين معهم لهجاتهم

1- نبيلة سنجاق، الشعر الشعبي بين الهوية المحلية و نداءات الحداثة، ،الرابطة الوطنية للأدب الشعبي. د.ت،ص:168.
2-عبد الله الركيبي الشعر الديني الجزائري ، ص :324.
3 - سورة النحل، الآية: 103.

المتعددة حيث تغلغلوا في الأوساط الشعبية وساهموا في تعريب الجزائر بصورة جلية اعترف بها كثير من الدارسين»(1) ومن بينهم محمد المرزوقي في قوله :« لم يترك لنا التاريخ أي أثر لشعر منظوم باللغة الدارجة - الشعر الشعبي - قبل منتصف القرن الخامس الهجري أي قبل الزحفة الهلالية»(2).

مع مجيء القبائل الهلالية، « تكونت لهجة عربية ، وأصبح لهذه اللهجة أدبا شعبيا، والذي يعتبر بمثابة النواة الأولى لشجرة الأدب الشعبي الجزائري والتي لم يكتمل نضج ثمارها إلا بعد الهجرة الأندلسية، إذ عرفت مدينة الجزائر نموا ديموغرافيا بسبب توافد الأندلسيين في مطلع العهد العثماني»(3)، بسبب هروب الأندلسيين إلى شمال إفريقيا ، والمعروفين باسم الموريسكيين بسبب الحملات الإسبانية البرتغالية على شمال إفريقيا ، فاحتلوا وهران عام 1506 م وبجاية في 1510 م ومستغانم في 1511م ـ شارك الشاعر لخضر بن خلوف في المعركة التي تصدت لهذه الحملات الصليبية و قد قال بهذه المناسبة تحفته الشهيرة معركة مزغران – وحينما احتلت عنابة سنة1531م استنجد المغرب العربي بالأخوين بربروس ، عروج وخير الدين فمهد ذلك لمجيء العثمانيين للجزائر و من بين ما قاله الشاعر لخضر بن خلوف حول هذه المعارك :

---

1 - عبد الله الركيبي الشعر الديني الجزائري ، ص :386.
2- محمد المرزوقي، الشعر الشعبي،ص:57 .
3 - ناصر الدين سعيدني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر(الفترة الحديثة و المعاصرة)،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط، 1988،ص:123.

شَابْ رَاسِي مِنْ قُوَة لِيعَة الجْمَـــــــالْ مْسَطْرِينْ الفَرْسَانْ مَاشْيَة وْ جَايَة

وَ الخَلُوفِي يْنَادَهْ وْ يْسَايْسْ فِي الأَبْطَالْ وَ العَرَبْ بِسْنجَاقْ وَ القُوْمُ غَازِيَة

و كذلك قوله :

بَاْشْ خْيَـالْ كُنْـتْ نْهَاتِـي مِنَ العَرَبْ فِي حِكْمَة خِيرْ الدِينْ العَادِلْ الأَصِيلْ

رَاكْبْ عَلَى فَرَسِي مَنْصُوبْ لْي شِهَبْ هُنَا وَ غَادِي بِيَا قَـــرْبْصُونِي يَمِيْـلْ

ثم قال أيضا :

عِشْرِينْ أَلْفْ عَرَبِي كُنَا مُقَاتِلَة مِنْهُمُ القَايِدْ وَ الوَزِيرْ وَ الْـــــــــحَكِيمْ

تَبْعُونَا شِلَة كُفَارْ هَـــــامْلَـــة بَقَى السِيفُ يْشَالِي وَ الحَرْبُ وَ الزَدِيمْ

لقد كان للهجرة الأندلسية أثرها في تكوين لغة التعامل اليومي لسكان الجزائر ، و كذا التأثير القليل للغة التركية ، كون الأتراك لم يتعايشوا مع الجزائريين بل كانوا يعيشون في بروجهم بمعزل عن الجزائريين – إذ كانوا يتقلدون المناصب الإدارية وهم بذلك يمثلون الطبقة الحاكمة للمجتمع،أما الجزائريون فيمثلون الطبقة الكادحة للمجتمع الجزائري بامتهانهم للأعمال المضنية والشاقة ، لذلك لم يختلط الجنسان بل كانا بمثابة المجتمعين المنفصلين ، في إطار جغرافي واحد، ولهذا لم تؤثر لغة الأتراك في اللهجة الجزائرية إلا بعض الكلمات القليلة ، والشاعر لخضر بن خلوف عاش في هذا العصر.

لقد عرف الأدب العربي الفصيح ضعفا بينا خلال هذا العصر والعصر الذي تلاه أي أثناء التواجد الاستعماري الفرنسي للجزائر، مما فسح المجال للأدب الشعبي عامة والشعر الشعبي الديني منه خاصة، ويظهر في هذا الأدب الشعبي وهذه الأشعار أثر اللغة الفرنسية بارزا إذ أصبحت الألفاظ الفرنسية تتداول في الأوساط الشعبية وكأنها ألفاظ عربية.

أقدم مدونة شعرية شعبية جزائرية :

يعود إنتاج أقدم مدونة شعرية باللغة الشعبية الجزائرية إلى القرن السادس عشر ميلادي ،إذ تم نشرها في « نهاية الخمسينات من طرف محمد الغوثي بخوشة ، منسوبة للأخضر بن خلوف الفارس الشاعر الذي كان بين المجاهدين الذين خاضوا معارك المقاومة العسكرية الإسبانية حول موانئ المنطقة الوهرانية» (1)

مكونة من إحدى وثلاثين قصيدة لهذا الشـــاعر المتصوف ؛ الذي قضى حياته في مدح الرســـول عليه الصلاة والسلام ، كما ظهر في الفترة نفسها شعراء متصوفة آخرون « أنشدوا قصائد ملحونة وموشحات وأزجال في المـــديح النبوي الشريف والإشادة بالدين الإسلامي الحنيف وهم في هـــذا يتبعون شـــعراء الفصحى ، لأن الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي أثرت في الشعر الفصيح هي نفسها التي ساهمت في اتجاه شعراء الملحون إلى الدين ، فأنشدوا قصائدهم.. لينّفسوا عن حرمانهم في الحياة» (2).

1- عبد الحميد بورايو، الثقافة الشعبية الجزائرية، محاضرات ألقيت على طلبة الماجيستر بعنوان (في التاريخ والقضايا و التجليات) بباتنة 2004-2005.

1- عبد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري ، ص:369.

ملأ الشعر الملحون في هذا العصر الفراغ الذي تركه الشعر العربي الفصيح ، بسبب ضعف هذا الأخير مما حاله عن أداء رسالته الفنية الأصلية، وظهرت فئة من الشعراء والكتاب وضعت نفسها في خدمة الحكام الأتراك وجندت ألسنتها وأقلامها للدفاع عن الوضع القائم لا عن عقيدة ورأي وإنما بدافع التزّلف واجتلاب الّنفع، « بعكس شعراء الملحون عامة والشاعر لخضر بن خلوف خاصة والذي صرف حياته في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يمدح غيره،وبرغم عدم مدحه للأتراك إلا أنه نال بمدحه للرسول صلى الله عليه وسلم مكانة عالية عند هؤلاء الحكام،الذين اعترفوا بإخلاص الشاعر في مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم» (1)، فاكتسب أبناؤه بهذا المدح بعد وفاته شرفا ومجدا وشاع ذكرهم بين الناس.

وللشاعر قصيدة وطنية معروفة يستدل بها عن قصائد الملحون التي تعنى بتسجيل الأحداث السياسية آنذاك ، ومهاجمة أعداء الدين والوطن قبل الاحتلال الفرنسي ، والمعروفة باسم «**قصة مزغران معلومة**» وهي قصيدة رائعة أثر الدين فيها واضح .. « وأمثال هذه القصيدة يمكن أن تدرج في إطار القصائد التي تنظر إلى الآخر على أنه كافر يريد أن يحارب الإسلام » (2) حيث شبهها الشاعر بغزوة بدر الكبرى قائلا في هذه الأبيات:

1- جمعية أفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حياته و قصائده ،ج1،للنشر و التوزيع وهران، دار 2006 ص:371.
2- عبد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري ،ص:371.

حَصْرَاهْ يَا الدْنْيَا كَلِي مَا كَانْـــتْ عَدِيتْ شَبُوبِي فِي مَزَغْـــــــرَانْ

سِيفِي مُجَرْدَو أَنَا نْضْرب فِي العِدَا وَالنَاسْ دَالْجَة مِنْ زَجْرِي بْالخُوفْ

خَلْفِي وَ عَلَي يَمِينِي الجَمَاجِمْ رَاقْدَة وَ الخَلْقْ طَايْحَة تْنْحْسَبْ بِالْأُلُوفْ (1)

فعناية الشعراء بالدين أكثر من عنايتهم بالسياسة ، نذكر على سبيل المثال قصيدة « راس المحنة» للشاعر لخضر بن خلوف ، وقد غناها أكثر من مطرب جزائري ، إلا أنها اشتهرت باسم المغني الذي غناها أول مرة وهو المغني الصحراوي «البار عمر» – رحمه الله تعالى – والذي سجن من طرف الاستعمار الفرنسي بسبب هذه الأغنية لأنها تحمل أبياتا تدافع عن الإسلام وتمجده ، وتهاجم أعداءه وتصفهم بالكفر والخروج عن ملة الرسول عليه الصلاة و السلام. و قد سايرت الأغنية الشعبية الجزائرية الشعر الشعبي الجزائري في التعبير عما يعانيه الشعب الجزائري من ظلم وحرمان ؛ وبذلك كان الشعر والأغنية بمثابة سلاح للمقاومة الوطنية، والمؤكد هو أن قصائد كثيرة من الشعر الشعبي كانت منتشرة ورائجة ، وخاصة تلك التي تعبر عن رفضها الاحتلال ، و نصرتها للدين و تردد بفخر أمجاد الماضي، وبذلك ملأت قصيدة الملحون الفراغ الذي تركته القصيدة العربية العموديةإذ أنشدها شعراء متعلمون وغير متعلمي وفي كل البيئات.

1- جمعية أفاق مستغانم ،سيدي لخضر بن خلوف (حياته و قصائده)،ج1،ص:38.

أغراض الشعر الشعبي :

الشعر الشعبي مثله مثل الشعر الرسمي في كل قطر عربي، وفي كل منطقة من كل بلد له الأغراض ذاتها، من حماسة وغزل و مدح وهجاء؛ إذ يقول الباحث التلي بن الشيخ: « استطاع الشاعر الشعبي أن يقلد كل أغراض الشعر العربي مدحا ورثاء وهجاء وحماسة وغزلا، مع اختلاف الرؤية وتباين في الأسلوب واختلاف في التصوير»(1) ،وهذا الاختلاف يكمن فقط في اختلاف اللغة فالأولى رسمية والثانية شعبية ، وذلك لا ينقص من قيمة هذا الأدب وهذا الشعر، فالرؤية واحدة والتصوير واحد والأسلوب كذلك واحد ، كيف لا وهذه منسلخة من تلك.

صحيح أن لغة الأدب الشعبي هي عربية ولكن فيها لحن وتخلت عن الإعراب ؛ أي إعراب اللغة العربية الفصحى ذات القواعد الخاصة التي تضبطها ، وهذا لا يؤثر على بلاغة النص الشعري الشعبي مهما كانت لغته؛عامية أو شعبية إن أغلب الشعراء الشعبيين قد تتلمذوا في المدارس القرآنية؛ فالتعلم القرآني في الزوايا لا يشمل فقط الثقافة الدينية وإنما يكون ملما لعلوم القرآن والحديث وكذا علوم اللـغة العربية من نحو وصرف و بلاغة، فكيف يوصف هؤلاء الشـــعراء بالأميين وهم على هذا القدر من العلم ؟ إلا أن هؤلاء الشعراء قد عمدوا إلى الكتابة بلغة شعبية عوضا عن الرسمية لكسب عدد أكبر من المتلقين، لأن هدفهم – إصلاحي - هو نشر الوعي في أوساط الشعب الجزائري للتعبير عن حاجاته ومعاناته.

1- التلي بن الشيخ ،منطلقات التفكير في الأدب الجزائري ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1990، ص:29،30.

لم يكن للزوايا الدور الأساسي في نشر الوعي في أوساط الشعب الجزائري لأنها حوربت من طرف الاستعمار الفرنسي فهو يعلم مدى خطورتها السياسية على التواجد الفرنسي في الجزائر لقد أسهم هذا الشعر - الشعبي كونه شعبيا من جهة ودينيا من جهة أخرى - كثيرا في بعث الروح الوطنية و لهذا كان اهتمام الاستعمار الفرنسي بهذا الشعر قبل عملية إنزال قواته على الأراضي الجزائرية ؛ إذ انصب اهتمامه على الأشعار ذات الطبيعة التوثيقية ؛ التي أرخت لوقائع الصدام بين الجزائريين والمستعمر ، فالاستعمار الفرنسي وأي مستعمر آخر يؤمن دائما بأن « اللسان دوما عدو للعنق»(1) .

قد يكون الشاعر الشعبي أميا و لكنه بالرغم من أميته إلا أن شعره نال القدر الكبير من الاهتمام من طرف الاستعمار الفرنسي ، سواء كان ذلك قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر أو بعده ، كما يعتقد الباحث التّلي بن الشيخ أن الشعراء الشعبيين لم يجيدوا إلا غرضي الغزل والهجاء قد يجيد ويرجع سبب ذلك إلى عدم قدرة الشاعر السياسية قائلا « الغزل والهجاء ولكنه يضعف في موضوعات أخرى تبعا لإدراكه الجيد في موضوعات وعدم قدرته على إدراك الموضوعات السياسية والاجتماعية في نفس الدرجة»(2).

1- عبد الحميد بورايو الأدب الشعبي الجزائري ،ص:37.
2- التلي بن الشيخ ،منطلقات التفكير في الأدب الجزائري، ص:36.

أعلام الشعر الشعبي الجزائري :

يعدّ الشعر الشعبي في الجزائر أحد أهمّ المأثورات الثقافية في فترة العهد العثماني حيث أنّ الأدب الشعبي كان طاغيا على المجال الثقافي، فالفترة التركية من تاريخ الجزائر تميّزت بالفقر الإنتاجي في المجال الثقافي ماعدا مجال الثقافة الشعبية، التي كانت التعبير التلقائي على الحالات الاجتماعية والنفسية التي كانت تعيشها الشرائح المختلفة، و لقد ظهر الشعر الشعبي كأحد أهم الوسائل الاتصالية لتمرير الخطاب الثقافي، خاصة لما فهم الشاعر أن شعره هو وسيلة من وسائل الدعم و التجنيد للشعب من اجل الحفاظ على هويته ، فالشعر الشعبي تميّز بالرواج في هذه الفترة و حتى في الفترة الأولى من فترة الاستعمار الفرنسي،وهذه بعض الأمثلة عن الشعراء الشعبيين في هذه الفترة:

- **لخضر بن خلوف:**

و هو أقدم شاعر شعبي معروف لحد الأن و هو من الأولياء الصالحين في منطقة مستغانم و يعرف بسيدي لخضر، و لقد اشتهر الأكحل بن خلوف بقصائد المدح و لم ينظم غير ذلك ما عدا واقعة مزغران التي دارت بين الجيش التركي بقيادة حسن باشا بن خيرالدين مع الجيش الإسباني بقيادة الكونت دالكادوت و هي القصيدة المعروفة بـ « واقعة مزغران».

مولده :

ولد الشاعر سيدي «لخضر بن خلوف» ناحية جبال مغراوة الجزائرية، « وسط كريم، مشهور بخصال العرب، عندئذ كان أول عصر الاحتلال التركي»(1)،إلا أننا لا نعرف تاريخ ميلاده بالتدقيق إلا ما جاء في قصيدته «أبقاو بالسلامة» في قوله:

مِنْ قَرْنْ الثَمَانِيَة أَدِيتْ سِنِينْ أُوزَايْـــعْ وَ الأَيَامْ هَامْلَة وَ الجَالِبْ مَجْـلُوبْ

بِفَضْلِ اللّهِ تْمِيـتْ القَرْنْ التَاسِـــــــــعْ وَ الفُلْكْ يَنْثَنِي وَ الحَاسِبْ مَحْسُوبْ

جَوَزْتْ مِيَا وَ خَمْسَة وَ عِشْرِينْ حِسَـــابْ وَ تَمِيتْ مِنْ وْرَا سْـنِي سِتَة شْهُورْ(2)

إذ ولد الشاعر « لخضر بن خلوف» في أواخر القرن الثامن هجري، و عاش القرن التاسع كله، ثم وافته المنية في أوائل القرن العاشر هجري(3) أي انه عاش ما يزيد عن مائة و خمس و عشرين عاما .

على الرغم من قلة المعلومات حول مولده إلا أن هناك من اجتهد في الوصول إلى تاريخ ميلاده بالتدقيق ، بعد إجراء عملية حسابية للسنة الهجرية ، فتوصل بذلك إلى معرفة السنة الميلادية،

1- محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ديوان سيدي الأخضر بن خلوف(شاعر الدين و الوطن)،ص:23.
2- المرجع نفسه،ص:24.
3- جمعية افاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حياته و قصائده، ج1،ص:21.

وكانت النتيجة أنه ولد سنة «1942»، الموافق لـ «897 هـ»، وتوفي سنة «1613م» الموافق لـ«1022هـ»، أي ان الشاعر قد عاش ما يزيد عن 121 سنة شمسية ، ما يعادل 162 سنة قمرية، و هي محاولة قريبة من الحقيقة .(1)

أصله:

اختلف الدارسون حول أصل الشاعر « لخضر بن خلوف » إن كان جزائريا أم مغربيا فهناك من يرى أنه « ينحدر من أصل مغربي ، وقد هاجرت عائلته من المغرب الأقصى إلى الجزائر في القرن السابع الهجري ، ثم استوطنت ناحية .. مدينة معسكر»(2) و الظاهر أن أصل الشاعر فعلا مغربي ؛ إذ يقول في قصيدة «مزغران »:

اللّه يْرْحَـــــــمْ قَايْلْ الأَبْيَاتْ لْكْحَلْ وَ إِسْمْ بَابَاهْ عَــبْدْ اللّهْ

المَشْهُورْ إِسْمُهُ فِي الأَنْـــعَاتْ مَغْرَاوِي جَدُهُ رَسُـــولُ اللّهْ(3)

فهو مغراوي وهي « قبيلة مغربية» (4) ، كما يبين أصله في موضع آخر قائلا:

لَخْضَرْ وْلْدْ الخَلُوفْ فِي المَدْح يُوصِي خَايْـــــــــفْ مِنْ كُلِ مَرْمْدَة

بِلاَدُهُ بَعِيدَة فِي الغَرْبْ القَاسِـــــــي وَ الـــــــــخْلقْ عَلِيهْ شَــاهْدَة(5)

1- جمعية أفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حيلته و قصائده ،ج1،ص:22.
2- التلي بن الشيخ ،دراسات في الأدب الشعبي ،ص:48.
3 - جمعية أفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حيلته و قصائده ،ج1،ص:24.
4- التلي بن الشيخ ،دراسات في الأدب الشعبي ،ص:48.
5 - جمعية أفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حيلته و قصائده ،ج1،ص:22.

إذا سيدي لخضر بن خلوف مغربي الأصل ، جزائري الموطن باعتبار أن عائلته استوطنت في الغرب الجزائري ، فعند عقد المقارنة بين الفترة التي ولد فيها الشاعر، و الفترة التي أتت فيها هذه القبيلة المغراوية إلى الجزائر ، نجد فارق السنين يقدر بقرنين من الزمن لذلك فالشاعر جزائري مرتبط بوطنه، لذلك أوصى أبناءه بدفنه قرب النخلة التي يستظل بظلها:

النَخْلَة مَنْزِلُـــــــــــهَا حْدَايَا نْظَـــلْ فِي ظِلِهَا البَـــــعِيدْ

نَخْلَة مْثَبْتَة تَلْقَحْ بَعْدَ اليَبُوسْ إِحْدَاهَا يَكُونُ قَبْرِي يَا مَسْلِمِينْ (1)

نسبه :

يرجع نسب الشاعر «لخضر بن خلوف » أو« لكحل بن خلوف» إلى أصل شريف ، إذ يعود نسبه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (2) إذ يقول الشاعر حول نسبه الشـريف في قصيدة « قصة مزغران »معلومة :

اللّه يْرْحَمْ قَائِلْ الأَبْـــــيَاتْ لَكْحَلْ وَ إِسْـمْ بَابَاهْ عَبْدْ اللّهْ

المَشْهُورَة إِسْمُهُ فِي الأَنْعَاتْ مَغْرَاوِي جَدُهُ رَسُـــولُ اللَّه (3)

و يعود نسب شاعرنا القدير إلى نسب شريف مغراوي ، إذ يلتحق بجده عيسى الذي أرخ نسبه الشريف السيوطي في قوله : « وهو عيسى بن الحسن بن يعقوب الشريف بن عبد الله بن عمران

1- محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ديوان سيدي الأخضر بن خلوف(شاعر الدين و الوطن)،ص:28.
2- جمعية أفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حيلته و قصائده ،ج1،ص:24.
3- المرجع نفسه- ص: 24.

بن صفوان بن يسار بن موسى بن سليمان بن يحي بن موسى بن عيسى بن إدريس بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن حســـن البسيط، بن علي كرم الله وجهه » إذا أصل لخضر بن خلوف شريـف ؛ لأنه شريف من جهة الأب و الأم كذلك ، فأمـــه هي : «كلة بنت سيدي يعقوب الشريف » (1) إذ يقول الشاعر عن أصل أمه الشريف قائلا:

وَ أُمُـــــهُ جَاتْ مِنْ القُرَيْشَاتْ اليَعْقُـــــــوبِيَة لَا لاَ كَـــــلَة

لذلك فالشاعر يشيد بنسبه لآل البيت ويعتز بانتمائه لأشرف خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم .

طفولته و شبابه:

لا توجد معلومات كثيرة حول حياة الشاعر فـــي صغره وشبابه إلا بعض ما ذكره الشاعـــر نفسه في قصائده ؛ « وأنه عاش يتيما مع أمه وكان وحيدها » (2) كما عرف الشاعر بذكائه الخارق منذ صغره ، كان يدرس بالزاوية كما تتلمذ على يد أكثر من دراز* أمثال الشيخ بوحية، كما لم تصلنا معلومات حول شبابه ؛ لقد قسم الشاعر حياته إلى قسمين، المرحلة الأولى قبل بلوغ سن الأربعين وهي المرحلة التي لم يعطيها الشاعر أهمية ، أما المرحلة الثانية وهي

1- جمعية أفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حيلته و قصائده ،ج1،ص:20
2- المرجع نفسه ،ص:61
* دراز: معلم بالمدرسة القرآنية،تتلمذ الشيخ على يد سيدي بوحية.

المهمة بالنسبة للشاعر، وتضم سنوات حياته الثمانين المتبقية ، ليقول الشاعر حول سنوات حياته :

جَوَزْتْ مِيَة وَ خَمْسَة وَعِشْرِينْ سَنَة حِسَابْ وَ زِدْتْ مِنْ وْرَا سِنِي سِتَة شْهُورْ

مِنْهِمْ مْشَاتْ رَبْـعِينْ سَـنَة مِثْلَ السَـرَابْ وَ مَا بْقَا مْشَا فِي مَدِيحْ المَبْـرُورْ(1)

وفاته :

لم تحدد وفاة الشاعر بسنة معينة إلا من خلال قصائده التي يظهر فيها أنه توفي في بداية القرن العاشر هجري، عن عمر يناهز المائة وخمس وعشرين سنة وستة أشهر ؛ إذ قال في إحدى قصائده :

جَوَزْتْ مِيَا وَ خَمْسَة وَ عِشْرِينْ حِسَابْ وَ تَمِيتْ مِنْ وِرِا سْـنِي سِتَة شِهُورْ(2)

شعره:

لقد طرق الشاعر لخضر بن خلوف أكثر من باب في الشعر الشعبي؛ إلا انه اشتهر بالمديح النبوي« إذ خصص الجزء الأكبر من شعره إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم» (3) لأكثر من ثمانين عاما أي ما يزيد عن ثلثي عمر الشاعر،وكان مدحه «ممزوجا بالحماسة والحكم والزهد

1- جمعية أفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حياته و قصائده ،ج1،ص:26

2- المرجع نفسه ،ص:50

3-التلي بن الشيخ ،دراسات في الأدب الشعبي ،ص:49.

بعيدا كل البعد عما لا يناسب الولي الصالح ؛ كالغزل والرثاء»(1) ولم يبك الشاعر إلا علي تفريطه من قبل سن الأربعين في غير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك نظم الشاعر قصائد لا تحصى مبينا شدة ولعه وشغفه وشوقه للنبي صلى الله عليه وسلم فكان صادقا حين قال :

إِذَا جُعْتْ مِنْ مَدِيحَكْ تَشْبَعْ وَ إِلاَ عَطِشْتْ العَسَلْ شْرَابِي(2)

لذلك يصنف الشاعر ضمن الشعراء الذين عنوا عناية خاصة بالشعر الديني ، أمثال بن مسايب و المنداسي ،بصفة عامة وبمدح الرسول عليه الصلاة والسلام بصفة خاصة . إذا كان « كلامه صادقا بحب خالص ولمحبوب اتخذه الله حبيبا... فيكون لخضر بن خلوف قد اختار أعظم موضوع (وهو الحب) لأعظم إنسان على وجه الأرض» (3) (وهو النبي صلى الله عليه وسلم)، حتى لو كان موضوع القصيدة في الحماسة أو الحكمة .. فشخص الرسول صلى الله عليه وسلم دائم الحضور، بصلاته عليه وبالتوسل به لله سبحانه وتعالى لطلب الغفران .

1- محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ديوان سيدي الأخضر بن خلوف(شاعر الدين و الوطن)،ص:27.
2- جمعية أفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حيلته و قصائده ،ج1،ص:19.
3-المرجع نفسه ،ص:50.

الشيخ أبو عثمان سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي :

و هو صاحب القصيدة الشهيرة « العقيقة » في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة و الأنصار رضي الله عنهم و البقاع المقدسة.

اسمه الكامل هو أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني السجلماسي، أصله من منداس بقرب مدينة غليزان الجزائرية و من قبيلة سويد الهلالية العربية التي سجل التاريخ و الشعر الشعبي مقاومتها الطويلة و الشرسة ضد العثمانيين (1). أين نشأ و ترعرع في مدينة تلمسان، العاصمة السياسية و الثقافية للغرب الجزائري آنذاك، في القرن 11 الهجري الموافق للقرن 17 الميلادي. و فيها أثبت براعته الشعرية في النوعين «الموزون» (2) و «الملحون» (3)، و وضع أسس مدرسة «الحوزي» التلمسانية .

حياته:

بعد تدهور الأوضاع في تلمسان هجر إلى المغرب الأقصى و اتصل بملوك الدولة العلوية الناشـــئة، منهم الإخوة مــولاي امحمد (المتوفى ســـنة 1075هـ/1664م) و مـولاي الرشيد

1- أنظر الشيخ المهدي البوعبدلي : الشاعر الشعبي الشيخ ابن السويكت السويدي، مجلة الثقافة، الجزائر، يناير- فبراير 1987، العدد 97 ، ص: 35-45.

2- جمع المرحوم رابح بونار قصائده باللغة العربية الفصيحة أي (الموزون) في كتابه: (سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني)، ديوان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1976 ص:91.

3- أنظر قصائده في (الملحون) أو (الشعر الشعبي) في كتاب الأستاذ المرحوم محمد بكوشة(و هو بخوشة أصلا): ديوان سعيد المنداسي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ،1970، ص:168 .

(1075هـ/1082هـ) و مولاي اسماعيل(1082هـ/1139هـ) الذي صار المنداسي شاعره المعتمد بعد أن كان مؤدبه في أول عمره. فيقول الشاعر مخاطبا مولاي إسماعيل بعد ما فرق الوشاة بينهما:

صَاحَبْ سِرَكْ مَا دْحَانِي فِعْلْ قَذِيرْ سَالْ عْلِيَا ضَمِيرَكَ إِذَا كُنْتَ تْسَالْ

عْشْرْ السِنِينْ نْتَبْعَكْ وَ أَنْتِيَا شِيرْ صَبْتَكْ مَا تْفْقَهْ مَعَ الجُلاَسْ مَقَالْ

واليُومْ تْوَلِيتْ وَ أَنَا صِرْتُ حَقِيرْ وِينِ أَمْثَالِي عِندَكُمْ حَتَى نْجْهَالْ ؟ (1)

و في أحضان المغرب الأقصى و في سنة 1088هـ/16578م،انجز قصيدة «العقيقة»، و ذلك مباشرة بعد رجوعه البقاع المقدسة حسب الرواية الشعبية. و حسب ما ترويه الذاكرة الشعبية أيضا فهذه القصيدة الرنانة هي التي فتحت له أبواب الشهرة الواسعة و وّفقت بينه و بين الشعراء المغاربة الذين طالما كانوا ينبذونه، يقول محمد الفاسي: « ذكر لي الشيخ الفلوس أن سيدي سعيد كان له خلاف مع أشياخ فاس و كانوا يمنعونه من الإنشاد بالمسيد (مسيد سيدي فرج) يوم عيد المولد ، فلما طلع الحجاز و حج نظم قصيدة « العقيقة» و لما حل يوم العيد جاء و طلع للشجرة التي هناك في وسط سوق الحناء و هي توتة عظيمة و صار ينشد «عقيقته» الشهيرة فأخذ الناس يصغون بإعجاب له، حتى انتهى و لما نزل حلف أحد الأشياخ حتى يحمله على ظهره و يدخله للمسيد»(2).

1- محمد قاضي، الكنز المكنون في الشعر الملحون، الجزائر، سنة 1928 ، ص.: 41 .

2- محمد الفاسي، معلمة الملحون، الجزء 2، (تراجم شعراء الملحون)، الرباط،،1992ص:255.

و هكذا أخذت مدرسة الملحون المغربية على المنداسي ما ساعدها على القفز من مرحلة الركود إلى مرحلة الازدهار فتتلمذ على يده العديد الشعراء.

أما بخصوص تواريخ ميلاده و وفاته فبقيت مجهولة حتى الآن و كل ما لدينا هو تاريخ أقدم قصيدة مؤرخة له و هي تحمل تاريخ (1060 هـ/ 1650 م) و أحدث قصيدة مؤرخة له و هي العقيقة (1088 ه/ 1677 م)(1). فمن الأكيد أن المنداسي يشكل حالة فريدة من نوعها في ميدان الملحون. فبقدر ما يحظى لدى الخاص و العام بالاحترام و الإعجاب لغزارة ثقافته و مهارته الشعرية و مكانته المرموقة عند الملوك و العلماء و الأدباء، بقدر ما تعتبره الأوساط الشعبية شاعرا غامض اللغة معقد الأسلوب مشتبه المعاني ، و بالتالي لا يصلح أغلب شعره للغناء و الطرب.

و يبدو واضحا أن جل ما نظمه المنداسي من شعر، و إن قصد به عامة الناس كما يزعم، كان، بحكم مستواه، موجها للمثقفين و العلماء. فنوع شعره في منزلة بين المنزلتين فلا نستطيع أن نقرر إن كان من «الملحون الفصيح» أم من « الفصيح الملحون» (2).

1- أنظر، قصائده في (الملحون) أو (الشعر الشعبي) في كتاب الأستاذ المرحوم (محمد بكوشة) ديوان سعيد المنداسي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ،1970، ص:151.

2- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الثاني،ص:174-176.

❖ تحولات في القصيدة الشعبية الجزائرية بعد الهجرة الأندلسية:

- الشكل:

لقد نشأ الشعر الشعبي العربي في القرن الرابع للميلاد ، و لم يصل إلينا إلا ما يعود إلى القرن السادس، و هذا لانعدام النصوص و يصعب علينا تتبع المراحل التي مر بها الشعر الشعبي العربي،قبل عصر امرئ القيس.

لكن يمكن أن نحدد بداية لهذا الشعر بظهور اللهجات العربية قبل أن ينتقل إلى الفصحى لقد لجأ الشعراء إلى تنظيم قصائدهم بهذه اللهجات لاعتقادهم أنها اللغة الرسمية الخاصة في ذلك الوقت ، و لقد ساعدت الظروف الدينية و العوامل السياسية و الاقتصادية على أن تسود هذه اللهجات و تصبح لغة الشعر ، و بدأ هذا الشعر داخل القبيلة على شكل مقطوعات قصيرة و استمر ذلك إلى غاية نهاية القرن الخامس للميلاد (05)،و بعدها انتقل من اللهجات المحلية إلى اللغة الفصحى العامة ،و من المقطوعات إلى القصيدة و لم يكن يعرف القافية في بداياته الأولى ، بل جاء مسجوعا قبل أن ينتقل إلى النظم .

إن الشعر الشعبي العربي في أول ما نظم عرف قافية رتيبة حتى عصر الخلافة في الأندلس خلال القرن التاسع للميلاد،حيث ظهر شعراء مجددون عملوا على تطوير الاتجاه الشعبي ،بحيث ظهرت بعض الألفاظ العامية موظفة شعريا في هذا العصر، و بعد انتشار الغناء الذي تطور بشكل كبير، كان من الطبيعي أن يتطور معه الشعر و من هنا ظهر لون جديد يدعى" فن الموشح"،ببلاد الأندلس .

---

(01) –ابن بسام الشنتريني،"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"،تحقيق،الدكتور إحسان عباس، دارالثقافة،بيروت،1979،ص67.

- **تعريف الموشح:**

إن الموشح فن أندلسي له خصائصه،و مميزاته، خالف بها القصيدة العربية القديمة،إذ له منهجه الخاص يتبعه الوشاح فيما يخص الإيقاع العروضي و البناء الشكلي، و فيما يخص التعريف الدقيق لهذا الفن ، فهناك تعريفات مختلفة لكلمة الموشح من لغوية و أدبية .

1- التعريف اللغوي: جاء على لسان العرب:الموشح و الوشحاء و الموشحة من: الظباء و الشاء و الطير: التي لها طيرتان من جانبيها **(1)**.

و عرف الزمشخري الموشح بقوله: "الموشح أو الموشحة من الاشاح و الوشاح هو حلي النساء و الموشح اسم مفعول يدل على أن الناظم قد وضع منظومته على شكل الوشاح **(2)**.

2- اصطلاحا : حاول ثلة من الدارسين تعريف الموشح بمفهومات متعددة أهمها:

تعريف محمد بن أبي شنب بقوله: الموشح قصيدة نظمت من أجل الغناء **(3)**.

- أجزاء الموشح:

يجد المتتبعين للكتابات التي و صفت أجزاء الموشح أن أصحابها يختلفون في المصطلح منها:

---

(1) – أبو الفضل جمال محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي،" لسان العرب، مادة موشح" ،ط6، دار صادر ،بيروت 1976، ص109.

(2) – جار الله القاسم محمود بن عمر الزمشخري،" أساس البلاغة ،مادة وشح"،دار صادر للطباعة،بيروت 1965.

(3) – المجي محمد ،"خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"،دار صادر للنشر،بيروت،(ط.د)،ص108.

- المطلع: و الذي يطلق على المجموعة الأولى من الموشح و غالبا ما يكون عدد الأجزاء اثنين

مثل قول: ابن زهير في قصيدته:

(أ) أيها الساقي إليك المشتكي قد دعوناك و إن لم تستمع (ب)

و هو موشح تام انقسم إلى جزأين (أ،ب) **(1).**

- الدور: و يبلغ عدد أجزائها ثلاثة إلى خمسة مثل قول ابن زهير:

و نديم همت في عرته
و شرب الراح من راحته (2).

- السمط: هو كل جزء من الدور و يسمى "سمطا" و يكون مفردا كما يمكن أن يركب من فقرتين

أو أكثر،كما في قول" الأعمى التطيلي"من إحدى وموشحاته **(3)**

لله ما أقرب على محبيه و أبعدا
حلواللهي أشنب أسى الضنافية و أسعد .

- القفل: و هي مجموع الأجزاء التي تعقب الدور الأول و لا يشترط عدد معين من الأقفال و يجب

أن تكون الأقفال متفقة في الوزن و القافية.

---

(1)- مصطفى عوض عبد الكريم،"فن التوشيح"بيروت، دار الثقافة،ط2، 1974،ص10.

(2)- المصدر نفسه،ص12.

(3)- المصدر نفسه،ص 29،30.

و هناك الأبيات التي أجزائها مركبة و لها فقرتين و ثلاثة أجزاء أو فقرتين و ثلاثة أجزاء و نصف،فقرتين و أربعة أجزاء، فقرتين و خمسة أجزاء، جزأين مركبين من فقرتين ، ثلاثة فقر و ثلاثة أجزاء،أربع فقر و ثلاثة أجزاء **(1)**.

ـ الطبيعة العروضية:

قلب الموشح موازين القصيدة العمودية على المستوى العروضي و ذلك بفعل ما تميز من خصائص عروضية ، و قد كان الوشاحون يستخدمون البحور الخليلية و الأخرى أن يخرجوا عن تلك البحور،فهناك من الموشحين الأندلسيين من بقي على الأصول و من أمثلة على ذلك:

أيها الساقي إليك المشتكي قد دعوناك و إن لم تسمع.

فهناك من بحر الرمل و هناك من يسميه بالموشح الشعري.

و من أمثلة حول التجديد العروضي في الموشح نجد:

أن تتخلل أقفاله و أبياته كلمة أو حركة ملتزمة ،كسرة كانت أو ضمة أو فتحة تخرجه من أن يكون شعرا صرفا،كقول"ابن بقي":

صبرت و الصبر شيمة العافي و لم أقل للمطيل هجراني معذبي كفاني (2).

---

(1)- مصطفى عوض عابد الكريم،المصدر السابق،ص37.

(2)- ابن سيناء الملك، "أبو القاسم هبة الله بن جعفر"، "دار الطراز في عمل الموشحات"،تحقيق،جودة الركابي،دمشق،دار الفكر،ط2، 1977،ص44.

- الأزجال:

هو فن من فنون الشعر،المستحدثة في الأندلس كالموشحات و عن ذلك يقول ابن خلدون:" و لما شاع التوشيح في الأندلس و أخذ به الجمهور لسلاسته و تنميق كلامه ... سموه زجلا" **(1)**.

و من أنواع الزجل نجد زجل العامة و زجل الشعراء المعربين،أما زجل العامة فيتمثل في تلك الأغنية الشعبية العامة شاع بين ألسن الناس و يتغنون به أفرادا و جماعة.

أما زجل الشعراء المعربين ،فقد جاء في نشأة زجل العامة،قبل عصر " ابن قزمان" و هذا كان بوضع أزجل يتغنون بها **(2)** .

- فنون الزجل:الزجل الأندلسي مثله مثل الموشح تناول موضوعات للشعر يتصدرها فن الغزل و يتقدم على جميع الأغراض الأخرى(المدح –التصوف- الرثاء ...).

- أشكال و أوزان الزجل:من حيث الأشكال و الأوزان،تتفق مع الموشحاتفي الأجزاء الأساسية التي تبنى غليها من مطلع و أغصان و أسماط أقفال أدوار، ثم تختلف عن الموشحات في البعد في تعدد الفقرات في بعض الأجزاء و في التقليل من القوافي الفقرات الداخلية و مثال على ذلك: القصيدة الزجلية "لابن قزمان"يقول فيها:

---

(1)-ابن خلدون،أبو زيدعبد الرحمن،"كتاب العبر،وديوان المبتدأو الخبر،في أيام العرب و العجم و البربر،و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"بيروت،دار الكتاب اللبناني،(ط.د)،1982،ص112.

(2)- فوزي سعد عيسى،" الموشحات و الأزجال الأندلسية في عصر الموحدين"،الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية،(ط.د)،1990، ص369.

هجرت حبيبي هجر و أنا ليس لي بعد صبر
لس حبيبي إلا ودود قطع لي قميص من صدود
و خاط بنقص العهود و حبب إلي السهر
كان الكستبان من شجون و الإبر من سهام الجفون

هي قصيدة زجلية في منتهى الرقة و اللطف تنوعت مفرداتها و هي تحكي ، شوق الشاعر لحبيبته تارة و صدود الحبيبة عنه تارة أخرى **(1)**.

من خلال ما تطرقنا إليه فيما يخص الموشحات و الأزجال عند الأندلسيين،يتبين لنا أن تأثير الأندلسيين كان قويا في تقوية نزعة الشعر الشعبي في الجزائر بعد الهجرة الأندلسية و التي ساهمت و بشكل كبير نقل المظاهر الأدبية و الفكرية و النهضة الثقافية، و لا يخفى علينا هذا يرى التلي بن شيخ أن لهذه الهجرة تأثيرا كبيرا في تقوية عود الشعر الشعبي الجزائري مستدلا في ذلك بظاهرتين ثقافيتين أثر في الفكر الجزائري هما ظاهرتا:

- الزجل الذي ابتكر في الأندلس و كان يقال بالعامية و الذي مازال تأثيره الآن متمثلا في جمعية الفن الأندلسي.

- ظاهرة و صول علماء و أدباء من بين المهاجرين ،كان لهم دور كبير في نقل مظاهر الثقافة و الأدب الأندلسي إلى إفريقيا و أنهم لم يدخلوا إلى الجزائر لأسباب سياسية بحتة **(2)**.

---

(1)- فوزي سعد عيسى،المصدر السابق،ص 106.

(2)-التلي بن شيخ، "منطلقات التفكير في الأدب الشعبي"ص27.

من هنا كانت بداية الشعر الشعبي الجزائري في مختلف المحطات ،و التحولات في حياة الشعر خاصة و أنه أدى دورا كبيرا في تسجيل بعض الحوادث التاريخية التي عرفتها الجزائر في ذلك الوقت،و ركز على جانب المقاومة لمحاولة رد الاستعمار.

فهذا الشاعر "لخضر بن خلوف" يسجل هجوم اسبانيا على الجزائر سنة 1559 ،أو ما سميت **"معركة مزغران"متناولا شجاعة أبطال الجزائر و نجاحهم في الدفاع عن و طنهم قائلا: (1)**

يا فارس من ثم حيت اليوم قصة مزغران معلومة
يا عجلا ناريض الملجوم ريت أحباب الشلو موشومة
يا سايلني على طراد اليوم قصة مزغران معلومة
اجتمعوا في برنا الأقصى بين النصراني و خيرالدين
ترى سفونا الروم محتومة بجيوش قوية و جاو متهدين
ترى سفون الروم محتومة صبحوا في المينا أعداء الدين

و هناك قصائد عديدة كتبت في الشعر الشعبي، و التي تحكي كل ما عاشته الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر،و التي أدت إلى تغير و تحول في بناء القصيدة الشعبية الجزائرية، و هذا بعد الهجرة الأندلسية من خلال مكوناتها و المتمثلة في الوزن و القافية و الإيقاع الموسيقي و هذا يبين تأثرها بالموشحات و الأزجال الأندلسية و من خلال أيضا تغير نظام البداية و البنية التخلص و نظام الخاتمة.

---

(1)- جلول يلس و أمقران حفناوي،"المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون"،المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1975،ص29.

يتضح تحول القصيدة الشعبية الجزائري بعد الهجرة الأندلسية في ما يلي:

1- الإيقاع: إن للإيقاع علاقة بذات الكاتب و هو من أهم خواطر الشعر لأنه ينظم أصوات ما يسمى أصوات النص ألفاظه على نسق زمني أو بنية زمنية ينشئ الانفعال و اللذة، انه تخيل صوتي،و يكتسب الإيقاع وظيفتين و وظيفة بنائية ووظيفة الانسجام في أصوات القصيدة وهذا ما نراه عند بعض الشعراء في قصائدهم،مثل هذه المقطوعة ل "بن كريو" بعنوان "قمرالليل"

سال على محبوب قلبي سال عليه — سال عليها سال شطانة حالي
قول لها واعلاه محبوبك تنسيه — غيظانة ظنيت ماكيش تسالي
نشرتي ثوب المحبة و طويتيه — واه جديد محبتك و لي بالي
مزقت قلبي بشفرة هظمتيه — يوم فراقك صارلي كي الهالي (1).

هنا نرى الشاعر قد قام بتوظيف صوتين يتوتران في القصيدة كلها،يظهر الأول في صدرالبيت و هو الضمير المتصل و الذي يدل على المحبوبة، و الصوت الثاني في عجز البيت وهي تدل على الشاعر،هذه الثنائية تحكم إيقاع القصيدة و بنيتها الكبرى على حد سواء ، فتصبح قيمتها الأساسية علاقة الشاعر بالمحبوبة و معاناته من الحب،كما نجد مجموعة من التمثلات الصوتية التي تنتج عن ظاهرة الترصيع بين الكثير من الألفاظ المتجاورة في القصيدة و التي تحتل هي الأخرى مكانا متميزا أي في نهاية صدور الأبيات.

---

(1)- عبد الله بن كريو،"الديوان"،ص 110،111.

2- الوزن: من أهم عناصر التي تقوم عليها القصيدة الشعبية و يضمن التأثر و الانفعال مثل قول الشاعر السماتي في هذه المقطوعة: **(1).**

بركة الاسلام قديت لفظ غنايا
يا سامع الأصوات يا ذا العزات
أحسن لنا الحياة كذا المماتيا
أغفر للوازين و الوالدين

و من خلال هذه المقطوعة ندرك الوزن في القصيدة الشعبية أن الغالبية الكبرى من الأشطر عشارية المقطع.كما نجد أن كل عمود عبارة عن خانة عروضية،تتراصف فيها المقاطع الطويلة فوق الطويلة و الأكثر طولا فوق الأكثر طولا في شكل يتماشى مع القالب العروضي. نستخلص أن العروض في الشعر الشعبي يتفق مع النظام العروضي للشعر العربي الكلاسيكي من الناحية الكمية،بينما يختلف معه في نظام المقطعي.

3- القافية: ترتبط في الشعر الشعبي بنهاية الجملة فيكون الوقف في نهاية البيت دلاليا و ايقاغيا و نحويا و مثال على ذلك قول الشاعر "ابن عزوز الخالدي"

باسمك يا معبود لا بياتي نبتدي ذا الميزان و حبت هواه
ازكي صلاتي على زين الخاتم ماحي كل ذنوب من هو يترجاه
الإل و الأصحاب يا غاني عمم و اللي تابعين كل آخر بسماه

---

(1)- الشيخ محمد الصغير مختاري،" تعطير الأكوان"،أولاد جلال،د.ط ،د.ـ،ص14،18.

نجد الشاعر يكتفي فقط بالحفاظ على الوصل في أخر البيت و لا يعنيه أن يحافظ على الروي الأصلي و لهذا يتنوع الروي،من واو إلى جيم ثم ميم...

و نلخص في الأخير أن الأهمية الكبرى التي يعطيها الشاعر الشعبي للإيقاع و الوزن القافية بوصفها جميعا من شروط الشعرية **(1).**

---

(1)- أبو يعلى التنوحي،"كتاب القوافي"،تحقيق عوني الرؤوف، مطبعة الحضارةالعربية،القاهرة،1975،ص64.

أ- **الموضوع:**

إن القصيدة الشعبية الجزائرية من حيث الموضوع و منذ القديم استطاعت أن تنتشر و بشكل كبير على مستوى الساحة الأدبية بشكل عام، ولقد كانت المتنفس الحقيقي لطبقة المجتمع في الجزائر خاصة أيام الثورة،و إذا أردنا النظر إلى الجانب الإبداعي للشعر الشعبي الجزائري لوجب القول انه و منذ ظهوره كان محملا بالإبداع الذي بدأ به الشعراء القدامى، من أمثال: "بن قيطون" و "محمد رواق"...

الذين لازلت قصائدهم محور الأحاديث و الدراسات بين الفترات الزمنية،فهم بموضوعاتهم و صدقهم استطاعوا أن يبدعوا في كتابة الشعر.

إن القصيدة الشعبية الجزائرية عرفت تحولات من حيث الموضوع بعد الهجرة الأندلسية و قد استطاع الشعراء أن يكتبوا في أغراض متنوعة،فمن مدح إلى رثاء إلى أغراض سياسية إلى شعر صوفي و منظومات دينية مختلفة،بالإضافة إلى أن الشعر الشعبي الذي كان يهتم بالحياة الخاصة للمجتمع،فقد عرفت تحولا في مواضيعه بتغير حياة المجتمع.

إن كل شاعر لم تخل كتاباته من الشعر،فكل كاتب هو شاعر في الوقت نفسه و كل من له كتاب نثري قيم بجانبه ديوان شعر يغني بالقصائد،كما نجد في بعض المصادر و التي لم

---

(1)- أبو القاسم سعد الله،"تاريخ الجزائر الثقافي"،ج2،الشركة الوطنية للتوزيع و النشر،1981،ص148.

تكن كاملة ،و إنما فقط تكتفي ببعض النماذج منها:

- الشاعر ابن الفكون: الذي لم ينتج في النثر فقط بل كان له أعمال أخرى في التصوف جدير بالذكر من ذلك قصيدة له في التوسل بالله سماها" إصلاح الذليل في دفع الباغي المستطيل "

باسمك اللهم أبدي توسلا فحقق رجائي يا الهي تفضلا **(1).**

و هو دعاء عند الشدة التي لحقته من بعض البغاة.

و لعلى من أهم ما كتبه الفكون هو ديوانه الذي خصصه لمدح الرسول(ص) وقد رتبها في حروف الهجاء مضمنا كل حرف من الحروف، تقرأ من أول بيت و أول كل بيت في حرف و تجمع لتخرج منها "اللهم" و قد التزم في ديوانه هذا أن جعل في كل شطر من نظمه حرف من حروف "الهي بحق الممدوح اشفيني آمين".

ان هذا الديوان هو المديح بالرسول(ص) في ليلة الجمعة و قت العشاء.

أبدر بدت في الخافقين سعوده و نورا به الأكوان أضحت تلألؤا
له في العلى أعلا العلا رتبة و في مراقبي ذوي العرفان قدما بمبوأ
أضاء و جود الكائنات ببعثه و طلعته الفراء من الشمس أضوأ
هو الغيث أحيا الأرض بعد موتها و خاتم كل الرسل تمت مبدأ
يرى الواء الحمد في الحشر اذ غدا مكنيا و في الأصول لها الأهوال بالفخر و هو المنبأ

---

(1)- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق،ص149.

(2)-الصيد سليمان،"نفح الأزهار بمدينة قسنطينة من الأخبار"،ط1، 1980،ص25.

كما نجد قصائد قد كتبت في أغراض مختلفة مثل الحنين و الشكوى و هي عاطفة الحنين الى الوطن، وقد كان الوطن عند البعض من الشعراء القدامى هو مربع القبيلة و مرتع الصبا ثم صار عند المتأخرين منهم هو البلد ، و عن الحنين و الشكوى يقول "أحمد الكماد": **(1).**

لهف نفسي على كسوف شمس العلوم و ذلة الغرباء
لهف نفسي على زمان عبوس قمطرير قسمة ضيراء
فأنا للعلى سموت و حزت رتبة لاتسام الجوزاء
وورثت العلوم قدما يقينا أباء قساور نجباء

كذلك نجد الشاعر " محمد الشاذلي"، وله عدة قصائد في أغراض مختلفة لأنه كان أكثرهم اطلاعا و جاد في التفكير ومن بين قصائده هذه المقطوعة في مدح" قسنطينة " كما ذكرها :

أبو القاسم سعد الله،فقد صورت جال هذه المدينة و موقعها و هوائها **(2).**

قسنطينة الغراء فزت ببهجة وعز على كل البلاد ورفعة
كأنك فوق الكهوف سلطان قد علا سرير عزيز الملك وهو ذو سطوة

–

و كذلك قصيدة عن الأمير عبد القادر يقول فيها:

و بلغ له شكوى قسنطينة بما يسوء ذوي الأحلام والله يشهد
وذلك أن الكفر حل بها وفي عمالتها من كل أرجائها يبدو
ترى أهل دين الله حقا أذلة وذو الكفر في عز وللحق يجحد

---

(1)- سعيدوني ناصر، "النظام المالي في الجزائر بين الفترة العثمانية1800-1830 "،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،مطبعة أحمد زبانة،الجزائر،1979،ص240.

(2)- أبو القاسم سعد الله، "محمد الشاذلي دراسته من خلال رسائله و شعره"،المؤسسة الوطنية للكتاب،1985،ص109.

إن ما نراه في شعر الشاذلي هو عامة شعر مناسبات تغلب غليه الروح التقريرية و الفقهية و هذا راجع لكونه كان رجل قضاء ، و **لكن شعره** متعدد الأغراض و المواضيع و بأسلوب ذات بساطة و سهولة الألفاظ.

- **<u>المميزات الفنية للقصيدة الشعبية الجزائرية:</u>**

برغم ما لدينا من النصوص الشعرية القليلة ،لكن يمكن أن نسلط الضوء على أهم المميزات الفنية التي تميزت بها،فنحن لم نعثر على قصائد كاملة سوى القليلة منها،مثل قصائد "الشاذلي" أما القصائد الأخرى فهي عبارة عن مقطوعات أو بيت واحد، و لهذا سوف تكون دراستنا على ضوء ما عثرنا عليه.

ومن جملة ذلك مقاطع "لابن الفكون" و أخرى" لعبد الرحمن باش تارزي " بالإضافة إلى وسوف يكون تسليط الضوء على ثلاثة عناصر أساسية و هي: الوزن-القافية- الصورة الشعرية اللغة و العبارة.

1- الوزن و القافية: يتفق القدماء على أن الشعر لا يقدم قائمة و لا يستوي إلا إذا اعتمد على ركن الموسيقى ،فيرى "قدامة بن جعفر" أنه "أنه قول موزون مقفى يدل على معنى" **(1).**

---

(1)- قدامة بن جعفر، "نقد الشعر" ،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي،بيروت،دار الكتب العلمية،(د.ت)ص 64.

فهذا عبد الله الطيب يرى "أن النظم العربي يقوم على عمادين،البحر و يتكون من عدد المقاطع الطويلة و القصيرة منتظمة،و القافية و هي الحرف الذي يجئ في أخر البيت" **(1).**

ان الوزن و القافية يمثلان في النقد القديم عماد الموسيقى الشعرية و محور دراستها و هذا ما أكده الدكتور شوقي ضيف حين أشار إلى أن الشعر موسيقى لم يضبط منها إلا ظاهرها و هو ما تضبطه قواعد علمي العروض و القوافي**.**

فقصائد الفكون التي معنا سواء التي توسل بها الله سبحانه و تعالى بأن يشفيه أ و التي مدح فيها كلتهما من البحر الطويل الذي يتكون من تفعلتين متباينتين تتكرر كل واحدة أربع مرات موزعة بالتساوي على الصدر و العجز.

باسمك اللهم أبدي توسلا	**فحقق رجائي يالهي تفضلا**
0//0//0/0//0/0/0//0/0//	**0//0//0/0//0/0/0//0/0//**
فعولن،مفاعيلن،فعولن،مفاعلن	فعولن،مفاعيلن،فعولن،مفاعلن

فإذا كان المقطع يتكون من حركة(|) و المقطع الطويل يتكون من حركة و سكون(**|0**) فمعنى هذا أن البحر يكون من 28 مقطعا طويلا و قصيرا موزعة بالتساوي بين الصدر و كذا العجز،و بالتالي فبحر الطويل من البحور التي تلائم الهدوء،و ربما لهذا السبب اختار "الفكون " هذا البحر مع الإشارة أن التفعيلات لم تكن تامة ، فقد جاءت مقبوضة "مفاعلن" **(2).**

---

(1)- الطيب عبد الله،" المرشد إلى فهم أشعار العرب و صناعها"،ط2،بيروت،دار الفكر،1970،ص113.

(2)- الهاشمي أحمد،"ميزان الذهب في صناعة شعر العرب"،دار الكتب العلمية،بيروت،1979،ص29.

أما الشاعر "باش تارزي"، فقد اختار في قصيدته التي مدح الشيخ الثعالبي ،البحر الكامل المناسب لهذا الغرض، أما قافية القصيدة فكانت نونية ،و فيما يخص قصائد الفكون فجاءت كلها من البحر الطويل مثل قصيدته التي يصف فيها باريس و يمدح أهلها فيقول:

بريز عجيب فيه نـهر شيقه	**و سلطانه في الجود و العدل أعجب**
0//0//0/0//0/0/0//0/0//	**0//0//0/0//0/0/0//0/0//**
فعولن،مفاعيلن،فعولن،مفاعلن	فعولن،مفاعيلن،فعولن،مفاعلن

وما نلاحظه على هذه الأوزان أنها لم تخل من العلل و الزحافات و بالتالي الخلل العروضي أما القوافي فقد تنوعت من" رائية" إلى "دالية" إلى "ببائية" **(1).**

- الصورة الشعرية:

اذا كانت الموسيقى هي عمود الشعر لدى معظم الدارسين ،فان الصورة الشعرية لا تقل أهمية بل تفوقها عند البعض ، و لقد تفطن البلاغيون إلى أهمية الصورة الشعرية و ركزوا على دراستها و بحثوا عن الصورة في كل تعبير شعري جميل و لم يجعلوا دراستهم لها محصورة في الأنماط البيانية الشائعة من تشبيه و استعارة...**(2).**

---

(1)- الطيب عبد الله، المرجع السابق،ص46.

(2)- ساعي أحمد بسام، "حركة الشعر الحديث"، دمشق،دار المألوف للتراث،ص 303.

وهكذا نفهم أن الصورة الشعرية تختلف باختلاف وجهات النظر و دون أن نغوص في تلك التفاصيل نحاول أن نراها في مقاطع شعرائنا في القديم ففي البيت الذي امتدح به الشيخ بن الفكون الرسول(ص) قال:

هو الغيث أحيا الأرض بعد موتها وخاتم كل الرسل تمت مبدأ.

فقد شبها الرسول(ص) بالغيث الذي يحي الأرض بعد موتها دون ذكر أداة التشبيه ودل عليه بالضير فقط.هذا و قد جاءت معظم المقطوعات خالية من أي صورة شعرية بليغة ملفتة .

أما قصائد الشاذلي فهي لا تخلو من بعض الصور الشعرية الجميلة التي تجذب السامع أو القارئ اليها و قد جاءت في معظمها على شكل تشابيه مثل قوله:

كأنك فوق الكهف سلطان قد علا سرير عزيز الملك وهو ذو سطوة
كأنك أم الغريب فكل من أتى لك منهم نال أكمل عزة

استعمل في جميع تشبيهاته أداة "كأن" و قد يلجأ الشعراء إلى التشبيه لما له من مكانة في غرض المدح يكون أبهى و أفخم و أنبل في النفوس **(1).**

---

(1)- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق،ص149.

- الألفاظ و العبارات:

إن ما يمكن قوله في الألفاظ و العبارات في الشعر الشعبي الجزائري عامة ،أنها جاءت بعيدا عن كل تعقيد ،فهي ألفاظ سهلة مستوحاة من الحياة التي عاشها هؤلاء الشعراء فعند الشاعر الفكون و باش تارزي ألفاظ دينية متشبعة بالروح الفقهية ، كما نجدها عند الفكون (الحشر خاتم الرسل – تشريعه – جوار الخلد- ...).

أما ألفاظ "محمد الشاذلي" فقد جاءت بسيطة غي متكلفة ولا معقدة موضوعية ،بعيدة عن الغموض و هي مناسبة للغرض.

كما تجدر الإشارة إلى أن اللغة المستعملة في الشعر الشعبي هي اللهجة العامية التي يتحدث بها الناس في حياتهم اليومية ، وقد يقصد الشاعر الشعبي ذلك لأن ذلك من مهارته و قدراته كذلك لأن شعره موجه إلى تلك الفئة من الناس و هم العامة.

الخاتمة

ما يمكن قوله في خاتمة هذا البحث المتواضع، إننا نتمنى أن يجد القارئ له شيئا من ضالته، في يوم من الأيام حين يتصفح وريقاته " لكن ما يمكن أن نشير إليه هو قلة المصادر و المراجع، التي تتحدث عن هذا الأدب الجزائري عامة و الشعر الشعبي خاصة في الفترات الزمنية الماضية و هذا ما وقف عائقا في طريقنا وأنه حتى من يملك بعض المصادر يرفض إعارتها ، أو حتى الإطلاع عليها ، لذا نرى أن بعض المصادر و المراجع بقيت مخبأة و لم نستفد منها،لان البعض يرى أنها كتب عزيزة و غير موجودة،لذا مازلنا نعاني من مشكلة المصادر و المراجع منذ سنوات إلى يومنا هذا".

فمن خلال هذه الدراسة أو هذا الاطلاع على الحياة الأدبية و الفكرية في الجزائر خلال العهد التركي و الهجرة الأندلسية يمكننا أن نخرج بعدة نتائج و نحصرها فيما يلي: أن الحياة السياسية و الاقتصادية التي عاشتها الجزائر خلال هذه الحقبة الزمنية ، أثرت تأثيرا يمكن القول عنه تأثيرا سلبيا على الحياة الثقافية و الفكرية،فقد كان من الحكام في العهد العثماني مهتمون بالتجارة و الحروب من جهة ،ثم البحث عن حياة الترف و البذج من جهة أخرى،فلم يعيروا أي اهتمام بالأدباء و الشعراء ، و لم نجد أن بايا من البايات أو البلربايات ،قد أقام ديوانا يجتمع فيه المثقفون ولا أسس دار للكتب تجمع فيه المؤلفات التي أنتجها الشعراء و الكتاب،الذين كانوا يحفظون ما أنتجوا في مكتبات خاصة ، لكن ما يمكن أن نشير إليه أنه رغم هذه الظروف التي عاشتها الجزائر و عاش رجال العلم ، فقد أنجبت أسماء لامعة، استطاعت أن تجد لنفسها مكانا أمام أسماء الحواضر الأخرى مثل القاهرة ،فاس، تونس فنقشت أسماؤهم بماء الذهب في سجل الخالدين،رغم أن هناك من

لم يسعفهم الحظ في البروز إلى النور بأسمائهم.

كما أنه و رغم تنوع الإنتاج الأدبي لأدباء الجزائر في العهد العثماني إلا أن هذا الإنتاج يبقى يفتقر لبعض الفنون الأدبية مثل الخطابة و التي كانت في ذلك الوقت من صلاحية الباي أو الداي...

وما يمكن الوصول إليه هو غلبة الروح الفقهية على الإنتاج الأدبي للأدباء ،و قد يرجع ذلك لكثرة انتشار الزوايا في ذلك الوقت و اعتمادهم عليها كليا ، كمراكز التعليم و كذا حفظ القران الكريم و الحديث النبوي الشريف.

أما فيما يخص الشعر و النصوص التي وصلتنا لم تكن كاملة و لم تحفظ جميعها،بل كانت عبارة عن مقاطع فحسب تم جمعها من مضامين و مراجع مختلفة، كانت تكتفي بذكر مقطوعات قصيرة .

وما يمكن قوله حول الشعر من الناحية الفنية ،فهو لم يرق إلى مصاف الشعر الممتاز كالشعر الجاهلي و في نفس الوقت لم تنزل به الدرجات إلى الأسفل،و إنما هو أدب متوسط متوسط له ماله و عليه ما عليه،و يبقى الحكم الأخير للنقاد ذوي الخبرة و الاختصاص و من ها العرض السريع نجد أن القصيدة الشعبية الجزائرية ،عرفت تحولات مختلفة بعد الهجرة الأندلسية و الذي قاد إلى ثورة التجديد الشعرية مبكرا و سلك طريقه الشعراء كما أدى إلى عنصر التنويع الموسيقي في الأوزان و القوافي و الإيقاع إلى وجود الشعر الذي يعد المحطة البارزة في تطور القصيدة الشعبية الجزائرية خاصة،يتبين لنا أن الأدب الجزائري في العهد التركي ،رغم كل العقبات و الصعاب التي أحاطت به إلا أنه يمكن أنه استطاع أن يجعل لنفسه مكانا تلفت الأنظار نحوه و تجلب له العديد من الدارسين.

و من خلال تطرقنا إلى تحولات القصيدة الشعبية الجزائرية بعد الهجرة الأندلسية ، نصل إلى إدراك الشاعر الشعبي الجزائري لأهمية العناصر الدينية و التاريخية و التي تتضمنها قصيدته ،لا سيما و أن لها وظائف عديدة ،خاصة جلب المتلقي ، كما تأثر الشعراء بتلك الهجرة خاصة بعد جلبهم للثقافة و نقل الموشحات و الأزجال و التي أدت إلى تغير في بناء القصيدة الشعبية انطلاقا من الوزن و القافية و صولا إلى حرف الروي و الإيقاع الشامل للقصيدة ،كما عرجنا إلى دراسة موضوعات هذه القصائد الشعبية بعد الهجرة الأندلسية و المتمثلة في عدة أغراض منها مدائح دينية إلى التصوف و الغزل و الافتخار و التغني بالبطولات الوطنية و رجالها ، و التي تم نقلها من الموروث الأندلسي ، وبالتالي لا يخفى علينا أن هذه الهجرة كان لها دورا بارزا في محاربة الاستعمار و التطور في مجال الحياة الفكرية و الأدبية.

و في الأخير يمكن أن نشير إلى أن ما قدمناه اليوم من خلال هذه المذكرة هو جهد قليل و ما هو إلا قطرة ممن سبقنا في الانجاز إليه من أقلام عظيمة ، و نتمنى أن تقبل منا هذه المحاولة البسيطة أمام الكتابات الكثيرة التي سبقتنا و أن تضيف للمكتبة الجامعية خاصة و للقراء و الباحثين المهتمين بالأدب الجزائري معلومات جديدة تساعدهم في دراساتهم.

"تم الكلام و ربنا المحمود وله المكارم و العلا و الجود"

❖ المصادر و المراجع:

1- ابن سحنون احمد علي الراشدي(الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني) ، تحقيق و تقديم ، البوعبدلي ، مطبعة قسنطينة ،1979م .

2- ابن ميمون، (التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية) ،تحقيق و تقديم، محمد بن عبد الكريم ، ش، و،ن، ت ،الجزائر،1908م.

3- ابن بسام الشنتريني،(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)،تحقيق،الدكتور إحسان عباس دارالثقافة،بيروت،1979م.

4- ابن سيناء الملك،(أبو القاسم هبة الله بن جعفر)، دار الطراز في عمل الموشحات،تقديم وتحقيق،جودة الركابي،دمشق، دار الفكر،ط2، 1977م.

5- ابن خلدون،أبو زيد عبد الرحمن،(كتاب العبر،وديوان المبتدأ و الخبر،في أيام العرب و العجم و البربر، و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ، بيروت ،دار الكتاب اللبناني (ط . د)،1982م.

6- احمد علي مرسي، (مقدمة في الفلكلور، عين الدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية) ،2001م.

7- احمد الخطيب،(جمعية العلماء المسلمين و أثرها الإصلاحي في الجزائر) م ،و ، ك، الجزائر 1985م.

8- أبو القاسم سعد الله،"أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر"،الطبعة3،دار الغرب الإسلامي الجزء1،بيروت،1990م.

9 - أبو القاسم سعد الله،(تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830)،دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجزء1، 1998م.

10- أبو القاسم سعد الله،(أشعار و مقامات ابن حمادوش الجزائري)،الثقافة،العدد،49، 1979م.

11- أبو القاسم سعد الله ،(الحركة الوطنية (1830-1900)، الجزء الأول ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005م.

12 - أبو القاسم سعد الله،(محمد الشذلي, دراساته من خلال رسائله و شعره) ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985م.

13- أبوراس الناصري، (عجائب الأسفار و لطائف الأخبار) ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 1632.

14- أبو يعلى التنوحي،(كتاب القوافي) ، تحقيق، عوني الرؤوف ، مطبعة الحضارة العربية،القاهرة،1975.

15 - أبو الفضل جمال محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي،(لسان العرب، مادة موشح) ط6، دار صادر ،بيروت 1976.

16- البوعبدلي المهدي،(الرباط و الفداء في وهران و القبائل) الأصالة عدد 13، 1973

17- التلي بن الشيخ ،(منطلقات التفكير في الأدب الجزائري) ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،(د.ط)، 1990م.

18- التلي بن الشيخ ،(دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983م.

19- التمغرطي أبو الحسن،(النفحة المسكية في السفارة التركية)، بدون دار النشر، و سنة الطبع.

20- الجبروتي عبد الرحمان،(عجائب الآثار في التراجم و الأخبار)، ضبطه و صححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.

21- الجيلالي عبد الرحمان،(تاريخ الجزائر العام) ،دار الثقافة، طبعة6، بيروت، 1983م.

22- الحفناوي أبو القاسم،(تعريف الخلف برجال السلف)، طبعة 2، مؤسسة الرسالة، تونس، الجزء 1، 1982م.

23- الصديق محمد صالح،(أعلام من المغرب العربي)، مؤسسة موفم للنشر والتوزيع الجزء1،الجزائر،2000 م.

24- الصيد سليمان،(نفح الأزهار مدينة قسنطينة من الأخبار)،الطبعة 1،1980م.

25- الطيب عبد الله،(المرشد إلى فهم أشعار العرب و صناعها)،الطبعة2، بيروت ، دار الفكر،1970م.

26- العربي دحو،(الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية)، الجزء1، المؤسسة الوطنية للكتاب،1989م.

27- العيد مسعود،(حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني)،سيرتا، العدد3، ماي 1980م.

28- الغالي العربي، (الثورات الشعبية أثناء العهد التركي)، رسالة ماجيستر،غيرمنشورة قسم التاريخ ، كلية الآداب، جامعة، دمشق، 1988 م.

29- الفيلالي محمد الطاهر،(نشأة الرابطين و الطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني) ، دار الفن القرافيكي الطبعة 1، الجزائر، 1976 م.

30- المجي محمد،(خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر)،دار صادرللنشر،بيروت (ط . د).

31- المدني احمد توفيق،(محمد باشا داي الجزائر، 1766-1791)، م ،و ، ك، الجزائر 1986 م.

32- الميلي محمد المبارك،(تاريخ الجزائر القديم و الحديث)، الجزء3 ، مكتبة النهظة، الجزائر ،1964 م.

33- الهاشمي أحمد،(ميزان الذهب في صناعة شعر العرب)،دار الكتب العلمية،بيروت 1979م.

34- الواعر صبرينة،(محمد بن رحال و دوره السياسي و الثقافي (1856-1928)، مخطوط رسالة الماجيستر في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة قسنطينة،(2002 2003م).

35- باشا عمر،(تاريخ الأدب العربي،العصر العثماني)، دار الفكر المعاصر بيروت،ط1، 1989 م.

36- الورثيلاني الحسن، (نزهته الأنظار في فضل علن التاريخ و الأخبار) ،تحقيق محمد بن شنب، فونتانا، الجزائر،1973م .

37- بوحوش عمار، (التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962) ، دار الغرب الإسلامي ، طبعة 1، 1997 م.

38- بوعزيز يحي، (أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م)، الثقافة العدد63 ،1981 م.

39- بوعمران الشيخ ،(الشيخ أبوراس الناصري و رحلته الثقافية)، محاضرات الموسم الثقافي، منشورات المجلس الإسلامي،الجزائر،1999- 2000 م

40- جار الله القاسم محمود بن عمر الزمشخري،(أساس البلاغة ،مادة وشح)، دار صادر للطباعة،بيروت،1965م.

41- جمعية أفاق مستغانم ،سيدي لخضر بن خلوف ،(حياته و قصائده)،الجزء1.

42- جلول يلس و أمقران حفناوي،(المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون)،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1975م.

44- جميلة معمر،(دور الزوايا في مقاومة الجهل و التبشير الديني)، مجلة الشهاب الجديد العدد3،السنة الثالثة،الجزائر2004م.

45- جمع المرحوم رابح بونار،(قصائده باللغة العربية الفصيحة) أي (الموزون)، في كتابه : (سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني)، ديوان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1976م.

46- رابح تركي،(التعليم القومي و الشخصية الوطنية)، ش،و،ن،ت،الجزائر،1981م.

47- رابح تركي ،(الشيخ عبد الحميد ابن باديس،فلسفته و جهوده في التربية و التعليم – 1900-1940، في الجزائر(ب،ت).

48- ساعي أحمد بسام،(حركة الشعر الحديث)، دمشق،دار المألوف للتراث.

49- سعيدوني ناصر،(دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة) م،و،ك، الجزائر،1988م.

50- سعيدوني ناصر، (دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية)، دار الغرب الإسلامي،بيروت،2001م.

51- سعيدوني ناصر،(الوقف و مكانته، في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية في الجزائر)، أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي)، الأصالة، العدد89 -90 1981م.

52- سعيدوني ناصر،(الأوقاف بفحص مدينة الجزائر)، دراسات إنسانية ، عدد خاص،ماي 2001 م.

53- سعيدوني ناصر،(النظام المالي في الجزائر بين الفترة العثمانية 1800 -1830) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،مطبعة أحمد زبانة،الجزائر،1979م.

54- سي يوسف محمد، (نظام التعليم في بلاد الزواوة بايالة الجزائر خلال العهد العثماني، الحياة الفكرية في الولايات العربية،جزء1990 م.

55- شالر وليام، (مذكرات قنصل امريكا1816-1824) ، ترجمة و تعليق إسماعيل العربي ش،و،ن،ت،الجزائر،1982م.

56- شوقي ضيف (تاريخ الأدب العربي،عصر الدول و الإمارات)،ط1،دارالعارف،كورنيش النيل،القاهرة،ج،م،ع،1119 م.

57- عبد الله الركيبي ،(الشعر الديني الجزائري الحديث)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.ط1، سنة 1981 م.

58- عبد الحميد بورايو،(الثقافة الشعبية الجزائرية، محاضرات ألقيت على طلبة ماجيستر بعنوان (في التاريخ والقضايا و التجليات) ،بباتنة ،2004-2005 م.

59- عبد الحميد حاجيات،(الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان)، ش، و، ت، 1983م.

60- عبد الحميد حاجيات (الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان)،مجلة الأصالة،عدد خاص،جويلية،أوت،1975م.

61- عباس الجراري، (الزجل في المغرب)، مطبعة الأمنية،ط1، المغرب، 1970 م .

62- عبد الكريم بولصفصاف، (الفكر العربي الحديث و المعاصر،محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا)،ج1،دار الهدى و النشر،2005م.

63-عبد القادر حلوش ،(سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر)،الطبعة1 ،دارالأمة الجزائر،1999م.

64- عمار هلال ،(أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة،1900-1970) د،م،ج،الجزائر،1984م.

65- عمار هلال، (أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة،1830-1962)، د،م،ج،الجزائر،1995م.

66- عبد الله بن كريو، "الديوان".

67- عبد الرحمان عبد الرحيم، (دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث)،المجلة

التاريخية المغربية ،عدد10-11 1978م.

68- عبد القادر نورالدين،(صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي)، مطبعة البعث قسنطينة 1965م.

69- فركوس صالح،(الباي محمد الكبير و دوره في بعث الحركة الثقافية في بيلك الغرب) الثقافة،عدد71، 1982م .

70- صالح فركوس،(تاريخ الجزائر)، درا العلوم للنشر و التوزيع ر،د،م،ك.2005م.

71- فوزي سعد عيسى،(الموشحات و الأزجال الأندلسية في عصرالموحدين)،الاسكندرية دار المعرفة الجامعية،(ط.د)،1990م.

72- قداش محفوظ،(الجزائر في العهد التركي)، الأصالة، العدد،52، 1977م.

73- قدامة بن جعفر،(نقد الشعر)،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي،بيروت،دار الكتب العلمية،(د.ت).

74- محمد سعيدي محمد،(الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق)، سلسلة دروس جامعية (آداب)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م.

75- محمد الفاسي، (معلمة الملحون)، الجزء 2، (تراجم شعراء الملحون) الرباط،،1992

76- محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر،ط5، تونس، 1967 م.

77- محمد بن الحاج الغوثي بخوشة،(ديوان سيدي الأخضر بن خلوف(شاعر الدين والوطن.

78- محمد قاضي، (الكنز المكنون في الشعر الملحون)، الجزائر، سنة 1928 م.

79- مصطفى الأشرف،(الجزائر الأمة و المجتمع)،تحقيق حنفي بن عيسى،م،و،ك،الجزائر 1983م.
80- موساوي القشاعي فلة ،(أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني)، دراسات إنسانية ،عدد خاص بالوقف ، ماي 2001م.

81- مصطفى عوض عبد الكريم،(فن التوشيح)،بيروت، دار الثقافة،ط2، 1974 م.
82- نبيلة إبراهيم، (أشكال التعبير في الأدب الشعبي)، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 1981م.
83- نبيلة سنجاق ،(الشعر الشعبي بين الهوية المحلية و نداءات الحداثة) ،الرابطة الوطنية للأدب الشعبي. د.ت.
84- ناصر الدين سعيدني، (دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة و المعاصرة)،الجزء2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د.ط، 1988م.
85- يحي جلال، (العالم العربي،الحديث و المعاصر)، المكتب الجامعي الحديث،الجزء 1.

المراجع الأجنبية:

1-SHAW ,VOYAGE DANS LA REGENCE DALGERIE,TRAD DE LANGLAISE PAR J ,MAC,CARTHY 2EME ED BOUSLAMA,TUNIS1980 .

2-BODIN , Tradition indigéne sur Mousaghanem et Tadjedit , IN B .S.G.A.O ,1925 .

3-TURIN(Y) ,Afferontementsculturelsdansl'algeriecolonial, (1830-1880),F ,Masppero,Paris.

4_BELHAMISSI « histoirdeMazouna,Desorigineanosjour » mp,Ahemed Zabana,Alger,1982.

فهرس الموضوعات

مقدمة----------01

مدخل: الحياة الفكرية و الأدبية في الجزائر ----------07

1- فترة العهد التركي----------13

2- فترة نهاية العهد التركي----------36

3- فترة ما بعد العهد التركي و بداية الاحتلال----------37

الفصل الأول: بدايات الاهتمام بالشعر الشعبي----------60

1- تعريف الشعر الشعبي----------61

2- مصطلح الشعر الشعبي----------63

3- إشكالية الشعر الشعبي----------67

الفصل الثاني: ماهية الشعر الشعبي----------73

1- أغراض الشعر الشعبي----------76

2- أنواع الشعر الشعبي----------89

3- خصائصه الفنية و مميزاته الأدبية----------

الفصل الثالث: تحولات القصيدة الشعبية الجزائرية بعد الهجرة الأندلسية

1- الشكل----------

2- الموضوع----------

3- الخاتمة----------

المصادر و المراجع----------